دراسات قرآنية
- ٢ -

أهمية التوحيد وخطر الشرك

تأليف
الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري
أستاذ مادتي العقيدة والفقه الإسلامي
في بيروت وطرابلس

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

أَهَمِّيَّةُ التَّوْحِيدِ
وَخَطَرُ الشِّرْكِ

الطبعة الثانية

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة - بيروت - وطى المصيطبة - مبنى عبدالله شليت
تلفاكس : ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣ - ص . ب : ٧٤٦٠. - برقياً: بيوشران

Al-Resalah
PUBLISHING HOUSE
BEIRUT / LEBANON - TELEFAX : 815112 -319039 - 603243 - P. O. BOX : 117460

الإهداء

إلى الباحثين عن الحقيقة لمعرفتها وحملها، ثم دعوة الآخرين إليها في كل أصقاع الأرض مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين، عرباً كانوا أو عجماً، رجالاً كانوا أو نساءً، أُهدى هذا الكتاب رجاء أن يكون سهماً جديداً من سهام الحق أقذف به كبد الباطل فأكون شريكاً في إزهاقه لمن سبقني من العلماء والدعاة وأهل العلم والمعرفة.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين بلَّغوا بعده الرسالة وأدّوا بعده الأمانة ونصحوا للأمة وجاهدوا في الله حق جهاده حتى أتاهم اليقين من ربهم فصلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنهم أجمعين، وبعد:

فإن العقيدة الإسلامية هي الأساس في الدين الذي عليه يبنى ما فيه من أحكام تشريعية عملية وسلوكية، بحيث متى كان الأساس سليماً ومتيناً كان ما يبنى عليه قوياً وثابتاً.

ولما كانت العقيدة إنما تعالج القضايا الغيبية مما لا يدركه العقل البشري بحواسه، فإن مبناها يكون قائماً على التسليم والمتابعة متى ثبت النص فيها، وبالتالي فلا يجوز أن يخوض العقل في قضاياها قبولاً ورداً خارج إطار النص الشرعي، لأن ذلك يعرض كثيراً من مسائلها وأسسها إلى أن تكون موضع ردّ عند البعض وقبول عند البعض الآخر لأن العقول البشرية متفاوتة كتفاوت الأبدان والألوان والأرزاق، مع ما يترتب على الخلاف فيها من أخطار كبيرة على الفرد وعلى المجتمع وعلى الحياة.

ومن هنا فقد رأيت أن أكتب في أهم جوانب العقيدة وهو الإيمان بالله تعالىٰ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته بحيث أتناولها بالبحث بعيداً عن التعقيد اللفظي ولإغراب المعنوي لتكون أقرب إلى ملامسة الفطرة البشرية التي خلق الله تعالىٰ الناس عليها وذلك باستخدام النصوص الشرعية من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ لأنهما الميزان السليم الذي تركه لنا رسول الله ﷺ لنتعرف من خلالهما على الحق من الباطل فلا تزلّ

بنا الأقدام ولا تضلّ بنا الأفهام ولا يختلط علينا معهما الحق بالباطل كما قال ﷺ: «تركت فيكم ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي». رواه مالك.

ولهذا فسوف يدور البحث مع النص الشرعي حيث دار وإن اقتضى ذلك مخالفة بعض ذوي الهيئة من الأخيار وذوي الرأي والمكانة من العلماء الكبار، لأن الجميع مهما علت أقدارهم وتفاوتت مواقعهم فإنهم دون النص في الاعتبار ما دام أن النص صريح في الدلالة وصحيح في النقل والحوالة، وأما في القضايا الاجتهادية ففوق كل ذي علم عليم وربّ مبلّغ أوعى من سامع، والله تعالىٰ يجزي كل من بذل في سبيل الدعوة إلى دينه النية الخالصة والكلمة الصادقة والعمل الصحيح المتطابق مع هدى النبي الكريم ﷺ وصحبه الأفاضل رضوان الله عليهم جميعاً خير الجزاء ويعطي جزيل الأجر وعظيم الثواب.

وقد جعلت هذا البحث بعنوان (أهمية التوحيد وخطر الشرك) متناولاً بالبحث فيه التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات باختصار غير مخل وببيان غير مملّ، وسأجعل كل نوع منها في مبحث مستقل، كما سأتناول بالبحث فيه الشرك بأنواعه الثلاثة في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات جاعلاً كل نوع منها أيضاً في مبحث مستقل، فجاء البحث على قسمين:

القسم الأول: في أهمية التوحيد وأنواعه.

القسم الثاني: في خطر الشرك وأنواعه.

وتحت كل قسم منها أبواب وأبحاث تخصه معروضة بأدلتها النقلية وحججها العقلية لتكون تعليماً للمبتدىء في هذا الميدان وتذكرة للمنتهي من هذا البنيان وبالله تعالىٰ التوفيق وعليه التكلان.

كتبه الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري

طرابلس . لبنان

الثلاثاء ١٠/ ١٠/ ١٤١٤ هـ ـ ٢٢/ ٣/ ١٩٩٤ م

القسم الأول

التوحيد: أهميته وأنواعه

وفيه بابان

الباب الأول: أهمية التوحيد

الباب الثاني: أنواع التوحيد

الباب الأول

أهمية التوحيد

التوحيد تفعيل من الوحدة، وهو تفريد الله تعالىٰ بالكمال في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، بحيث لا يشاركه فيها أحد بوجه من الوجوه على نحو ما هي ثابتة له لأنه تعالىٰ **﴿ليس كمثله شيء﴾**[1] ولأنه تعالىٰ لا نظير له ولا شبيه ولا مثيل كما قال تعالىٰ: **﴿هل تعلم له سمياً﴾**[2] أي مسامياً ومشابهاً، وهو استفهام إنكاري معناه النفي، أي لا سمي لله ولا شبيه لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في ذاته **﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾**[3].

ووحدة الله تعالىٰ في ذاته وصفاته وأفعاله ثابتة له عز وجل من حيث هي لأن ذلك حقيقة قائمة فلا ينفيها إنكار بعض الناس لها، ولكن المطلوب هو أن يذعن لها الإنسان وأن يقرّ بها ويعمل بمقتضى ذلك الإقرار فيخضع لله تعالىٰ وينقاد لأوامره وشرائعه ليحصل أثر ذلك في الفرد وفي المجتمع وفي البيئة.

ولذلك فقد ورد التأكيد على توحيد الله تعالىٰ في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة بصيغ مختلفة تشير إلى الحقيقة للناس كي تمنعهم من

---

(١) الشورى: آية ١١.

(٢) مريم: آية ٦٥.

(٣) الإخلاص: آية ٤.

الانحراف عنها فلا يقعون في شباك الشيطان الرجيم الذي هو عدوهم الأكبر والأخطر ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾[(١)].

فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿الله لا إلٰه إلا هو الحي القيوم﴾[(٢)] ﴿فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين﴾[(٣)]. ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إلٰه إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[(٤)] ﴿إن إلهكم لواحد﴾[(٥)] ﴿إنني أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدني﴾[(٦)].

وفي الحديث دعوة صريحة وكثيرة إلى توحيد الله تعالىٰ بأساليب مختلفة وصيغ متعددة أيضاً زيادة في بيان ما ورد في القرآن من الدعوة إلى توحيد الله تعالىٰ وتأكيداً على وجوب تحقيقه في النفس والمجتمع لتحصيل الأثر المترتب على توحيد الله تعالىٰ وقد قال عز وجل: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾[(٧)].

فمن ذلك قوله ﷺ: «من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة وحق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[(٨)] وفي رواية «أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»[(٩)] فتوحيد الله تعالىٰ يدخل صاحبه الجنة.

---

(١) يوسف: آية ٥.
(٢) البقرة: آية ٢٥٥.
(٣) محمد: آية ١٩.
(٤) التوبة: آية ١٢٩.
(٥) الصافات: آية ٤.
(٦) طه: آية ١٤.
(٧) النور: آية ٥٤.
(٨) رواه البخاري ومسلم، انظر جمع الفوائد ج ١ ص ٣ كتاب الإيمان. باب فضل الإيمان.
(٩) رواه مسلم. انظر شرح النووي ج ١ ص ٢٢٧، باب الأمر بالإيمان، الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

ومن ذلك قوله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إلٰه إلا الله خالصاً مخلصاً من قلبه»[1] فتوحيد الله تعالىٰ يحقق الشفاعة.

ومن ذلك قوله ﷺ: «إن الله سيخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول تعالىٰ: بلى إنّ لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، قال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالىٰ شيء»[2] فتوحيد الله تعالىٰ يمحو الخطايا ويكفر السيئات ويثقل به الميزان وترتفع به الدرجات.

كل ذلك من نتائج كلمة التوحيد في الآخرة، وأما في الدنيا فإن لها أهمية كبرى في حياة الفرد وفي حياة المجتمع وفي سلامة البيئة.

وسنجعل الكلام في كل مجال من هذه المجالات الثلاثة في فصل مستقل فنقول وبالله تعالىٰ التوفيق:

---

(١) رواه البخاري، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ٧ كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٩.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ٩ كتاب الإيمان رقم الحديث/ ٣١.

الفصل الأول

أهمية التوحيد في حياة الفرد

إن توحيد الله تعالىٰ يورث في نفس صاحبه الطمأنينة في القلب والثبات في الحركة، لأن الموحد يتجه إلى جهة واحدة يرتبط بها ارتباطاً شاملاً في كل شئون حياته فيجعلها محور حركته في هذه الحياة مهما تباعد مكانه أو علت مكانته ﴿**قل إن صلاتي ونسكي محياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾[1] ﴿**ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون**﴾[2].

وبما أن الله تعالىٰ هو الذي خلق السموات والأرض وخلق الإنسان كما أنه تعالىٰ خالق لهذا الكون بكل ما فيه وبكل من فيه ﴿**الله خالق كل شيء**﴾[3] فإن الارتباط به والتلقي عنه وحده يورث القلب إطمئناناً كاملاً إلى أن كل ما يأمر الله تعالىٰ به منسجم مع حاجة الإنسان تمام الانسجام لأنه هو الذي خلق هذا الإنسان فهو أعلم بما يحقق مصلحته منه بنفسه ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾[4] فيجب أن يكون الاستسلام

---

(١) الأنعام: آية ١٦٢.
(٢) هود: آية ١٢٣.
(٣) الزمر: آية ٦٢.
(٤) الملك: آية ١٤.

لأحكامه بصورة شاملة كما قال تعالىٰ: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾[١] فلا شك أن هذه الحقيقة تجعل القلب في حالة إطمئنان وسعادة لا حدود لها ﴿**الذين أمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[٢] فلا يراودها شك في قدرة الخالق على معرفة ما ينفع المأمور وما يضرّه على وجه التمام والكمال فتذعن له وتطمئن إليه.

وقد ضرب القرآن المثل فيمن يطمئن بإيمانه ومن يضطرب بسبب شركه بالله عز وجل فقال تعالىٰ: ﴿**ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾[٣] فمن كان أجيراً لشخص واحد يأمره بالعمل فيقوم به فيحقق المصلحة من ذلك الأمر، ومن كان أجيراً لعدد من الأشخاص لا يمكن أن يعمل بما يطلبه منه كل واحد منهم في وقت واحد لأن إراداتهم مختلفة ورغباتهم متفاوتة وغاياتهم متضاربة فيقع الأجير في حالة من التمزق النفسي والحيرة الكبيرة ومن ثم لا يستطيع فعل شيء يمكن أن ينتج عنه خير.

ومن هنا كان التوحيد عاملاً أساسياً وهاماً في تحقيق الأمن النفسي لصاحبه الذي يجعله في حالة رضا وسلامة كما قال تعالىٰ: ﴿**الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[٤] فالموحّد يطرح كل ما يعارض أمر الله ورسوله فيطمئن قلبه وتصفو نفسه.

ومن هنا أيضاً كان التوحيد عاملاً أساسياً وهاماً في تحقيق الحياة الطيبة لصاحبه التي تجعله في حالة رضا وقناعة فيها كما قال تعالىٰ: ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم**

---

(١) الأعراف: آية ٥٤.
(٢) الرعد: آية ٢٨.
(٣) الزمر: آية ٢٩.
(٤) الأنعام: آية ٨٢.

أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1] والحياة الطيبة في الدنيا هي غنى النفس وإن قلّ المال وساءت الأحوال كما قال ﷺ مبيناً هذه الحقيقة: «ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض وإنما الغِنَى غِنَى النفس»[2] وفي رواية «لقد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله بما آتاه» وفي لفظ آخر «طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به»[3] فلا عجب بعد ذلك أن يعتبر رسول الله ﷺ أنّ المؤمن إذا امتلك ما يكفي من القوت ليوم وما يؤوي من الحرّ والبرْد لفصل يعادل إمتلاك الدنيا كلها لأن القانع لا يَحتاج إلى أكثر من ذلك فيقول ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[4] لأن الجَشِع لا يشبعه شيء حتى لو امتلك الأموال الطائلة فإنه لا يقنع بها ولا يكف عن المطالبة بغيرها والسعي لتكثيرها بحلال أو بحرام كما قال النبي ﷺ «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى لهما ثالثاً ولا يملأ فاهُ إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[5].

كما أن التوحيد يورث صاحبه الصبر على ما يتعرض له من المحن والمصائب في هذه الحياة فلا يجزع ولا يتحطم في مواجهتها لأنه يعلم

---

(١) النحل: آية ٩٧.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ ص ١٥٢ كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض. رقم ٥٦٣.

(٣) رواه الترمذي والطبراني والحاكم وقال الحاكم: على شرط مسلم، وأقره الذهبي على ذلك، من رواية فضالة بن عُبَيْد، انظر فيض القدير جـ ٤ ص ٢٨٢ رقم ٥٣٠٩.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن محصن مرفوعاً، ورمز له السيوطي بالحسن، انظر فيض القدير جـ ١ ص ٦٨ رقم ٨٤٥٥.

(٥) رواه الترمذي عن أنس بن مالك وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. انظر تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٦٣٠ كتاب الزهد باب ما جاء لو كان لابن آدم واديان من مال. رقم الحديث ٢٤٤٠. ورواه مسلم بنحوه عن أبي موسى الأشعري انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ص ١٥٣ كتاب الزكاة باب لو كان لابن آدم واديان من مال، رقم الحديث ٥٦٥.

أنها إنما نزلت عليه بقدر من الله تعالىٰ إما لرفع درجاته إن كان صالحاً وإما لتكفير سيئاته إن كان خاطئاً وهو في الحالتين مستفيد منها كما قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[(١)] فحين يؤمن المرء بأن الله تعالىٰ وحده هو المدبر للأمر في الكون وهو المتصرف فيه بلا شريك علم أن ما أصابه خير له وإن بدا له غير ذلك لأن الله يعلم حقائق الأمور وأما الناس فلا يعلمون سوى ظواهرها كما قال تعالىٰ: **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾**[(٢)] **﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾**[(٣)].

ولذلك كان موقف المؤمن عند المصيبة هو أنه يرد الأمر كله لله تعالىٰ فلا يضجر منها كما لا ييأس من السعي للخروج من آثارها كما قال تعالىٰ: **﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾**[(٤)].

والتوحيد أيضاً يورث صاحبه سلامة في السلوك وكمالاً في الأخلاق لأن الذي يوجه المرء في حياته واحد لا شريك له وهو عالم بكل شئوونه وبالتالي فلا تتضارب الأوامر ولا تتناقض التوجيهات فينساب المرء في حركته نحو الهدف السامي دون عوائق أو تصادم لأنه لا يلتفت إلى ما يعارضه فلا ينحرف يمنة ولا يسرة عن خط سيره لقوله تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾**[(٥)] **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة**

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٣١٦ كتاب الزهد، باب المؤمن امرهُ خير كله، رقم الحديث ٩٢.
(٢) الحديد: آية ٢٢.
(٣) التغابن: آية ١١.
(٤) البقرة: آية ١٥٥.
(٥) الحجرات: آية ١.

إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[1] ولهذا وصف الله تعالىٰ دينه بأنه ﴿**الصراط المستقيم**﴾[2] أي الطريق الواسع الذي لا عوج فيه ولا التواء فيسهل على من يسلكه السير فيه دون حرج أو ضياع.

فتوحيد الله تعالىٰ يورث الفرد اطمئناناً في القلب وأمناً في النفس وقناعة في الرزق وصبراً على المصائب وسلامة في السلوك.

---

(١) الأحزاب: آية ٣٦.
(٢) الفاتحة: آية ٦.

الفصل الثاني
أهمية التوحيد في حياة المجتمع

المجتمع هو مجموعة الأسر التي تقطن في مكان واحد ينشأ عن تقاربهم علاقات واسعة في شتى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والعملية المادية والمعنوية.

والإنسان اجتماعي بطبعه فلا بدّ وأن يكون لديه من التصور العقائدي ما يجعله في حركته الجماعية ذا طابع إنساني إيجابي يسعى إلى تحقيق مصلحته دون أن يلحق الضرر بالآخرين حتى لا يترتب على ذلك ضرار ومشاقة تورث المجتمع الكثير من المشاكل والمتاعب التي تجرّ إلى صراعات فردية وجماعية يترتب عليها خراب وفساد يتنغص به العيش وتتشوه به الحياة.

فإذا كان الإنسان متلقياً عن الله تعالىٰ وحده إرشاداته وتوجيهاته فإن ذلك يجعل علاقته مع الناس صحيحة ونظيفة ويجعل حركته سليمة وكريمة حتى إنه لينسجم مع غيره من أفراد المجتمع ويشكل معهم الجسد الجماعي الواحد الذي يتفاعل بعضه مع بعض كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)].

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ٢٣٢ كتاب البر والصلة، باب: المؤمنون كرجل واحد في التراحم والتعاطف، رقم الحديث ١٧٧٤.

والسرّ في ذلك هو أن المؤمن الذي يوحد الله تعالىٰ حقاً وصدقاً يلتزم بما وضعه الله له من حدود فيطالب بحقوقه ولا يتجاوزها ويقوم بواجباته ولا يقصر فيها، والله تعالىٰ يأمر بالعدل والإحسان فينكف المؤمنون في المجتمع عن التعدي والظلم وقد قال تعالىٰ: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**[(١)].

ولهذا فقد عرف النبي ﷺ المؤمن من حيث أثر الإيمان في حياته الجماعية فقال ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[(٢)] كما عرف المسلم الذي استسلم لله تعالىٰ في تشريعاته من حيث أثر هذا الاستسلام في حياته الجماعية فقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[(٣)] وعرف المهاجر الذي يصدق مع الله تعالىٰ في الهجرة إليه من حيث أثر هذه الهجرة في المجتمع فقال ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[(٤)] والله تعالىٰ قد نهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكرنا في الآية آنفاً.

ومن هنا جعل الشرع الاستقامة على أمر الله تعالىٰ في حياة الفرد وكذا في حياة المجتمع دليلاً على وجود الإيمان في النفس وكمال التوحيد فيها، وجعل عدمها دليلاً على ضعف الإيمان أو انعدامه، فقال ﷺ: «لا

---

(١) النحل: آية ٩٠.

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم) وقال: هذا حديث حسن صحيح. انظر تحفة الأحوذي جـ ٧ص ٣٧٩ كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم ٢٧٦٢ ورقم ٢٧٦٣.

(٣) رواه البخاري جـ ١ص ١١ كتاب الإيمان. باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.
ورواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه جـ ٧ص ٣٧٩ كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث ٢٧٦٢.

(٤) رواه البخاري والترمذي والنسائي وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، انظر جمع الفوائد جـ ١ص ١٨ كتاب الإيمان رقم الحديث ٧٥.

يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[(١)].

وقد بين الله تعالىٰ أثر الإيمان بالله وبالنبي من حيث سلوك صاحبه وتصوره في حياته فيحمله على الاستقامة على أمر الله تعالىٰ وأن انعدام الإيمان أو ضعفه يورث الانحراف في المجتمع فقال تعالىٰ: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾**[(٢)].

كما أن ضعف إيمانهم بوحدانية الله تعالىٰ جعلهم يوزعون ولاآتهم على المخلوقين الذين استغلوا ذلك فيهم فانحرفوا بهم عن الحق والصواب ليحققوا بذلك مصالحهم على حساب أمن الآخرين وسلامتهم فقال تعالىٰ: **﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾**[(٣)].

وتوحيد الله تعالىٰ يوجد المجتمع القوي المتماسك لأنه يجمع المتجانسين في المعتقد من البشر بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ليضم بعضهم إلى بعض فيجند طاقاتهم المادية والمعنوية ويؤلف بينها ليصبحوا بذلك قوة عظمى في الأرض تستطيع فرض الحق وإقامة العدل بين الناس، ولا يمكن أن يجمع الناس على ذلك إلا توحيد الله تعالىٰ لأن تجانسهم في المعتقد يشد بعضهم إلى بعض مخترقين الحواجز الجغرافية والجنسية واللغوية ليتلاقى بعضهم مع بعض كما ينشد عنصر الحديد إلى المغناطيس[(٤)] مخترقاً الحواجز ليلتصق به وينضم إليه كما قال تعالىٰ: **﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه. انظر جمع الفوائد ج ١ص ٢٣ كتاب الإيمان، عن أبي هريرة مرفوعاً، رقم الحديث ١٠٥.

(٢) المائدة: آية ٧٩.

(٣) المائدة: آية ٨١.

(٤) وهو حجر معدني خاصيته جذب الحديد ومعادن أخرى كالكوبالت والكروم =

في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾[(١)] **﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾**[(٢)] .

ومن هنا أزال الشرع جميع الحواجز التي يمكن أن تفصل بين أفراد المجتمع وتنشيء الحواجز بينهم فحرم السخرية والغيبة والنميمة والظنون السيئة فقال تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾**[(٣)] كما حَرَّم التعدي على الآخرين في أموالهم أو دمائهم أو أعراضهم **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾**[(٤)] **﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً﴾**[(٥)] **﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾**[(٦)].

ولذلك فقد أوجب تنصيب القضاة لإزالة هذه الحواجز المعنوية والأمراض الخلقية التي قد تنشأ بين الناس بسبب المخالفات الشرعية ليبقى الجسم الإسلامي الجماعي متصلاً بعضه ببعض فلا يتجزأ ولا يتقطع لئلا يضعف أو يموت فقال تعالىٰ: **﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله﴾**[(٧)]

= والنيكل، وأكثر ما يوجد في بلاد السويد والنرويج. انظر دائرة معارف القرن العشرين ج ٩ص ٢٨٢.

(١) الأنفال: آية ٦٣.

(٢) آل عمران: آية ١٠٣.

(٣) الحجرات: آية ١٢.

(٤) النساء: آية ٢٩.

(٥) النساء: آية ٩٢.

(٦) الإسراء: آية ٣٢.

(٧) المائدة: آية ٤٩.

﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾[1] ﴿واقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾[2].

ولا عجب بعد ذلك أن نسمع رسول الله ﷺ يشبه المؤمنين المتحابين المتآلفين بالجسد البشري الواحد حيث قال ﷺ في الحديث الذي ذكرنا آنفاً: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3].

---

(١) الرحمٰن: آية ٩.

(٢) الحجرات: آية ٩.

(٣) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ص ٢٣٢ كتاب البر والصلة، باب المؤمنون كرجل واحد في التراحم والتعاطف، رقم الحديث ١٧٧٤.

الفصل الثالث

أهمية التوحيد في سلامة البيئة

لله تعالىٰ إرادتان: الأولى كونية والثانية شرعية، ولكل منهما خصائصها ولها متعلقاتها.

فالإرادة الكونية:

هي تلك التي يوجهها الله تعالىٰ للشيء الذي يريد خلقه وإيجاده ومتى أراد الله تعالىٰ ذلك فإنه يتحقق بصورة فورية بلا زمن كما قال تعالىٰ: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾[1] فلا يمكن أن يتخلّف المراد في هذه الحالة لأنه تتعلق به صفة القدرة الإلهية والله تعالىٰ على كل شيء قدير ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾[2] ﴿**وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض**﴾[3] ﴿**إن ربك فعال لما يريد**﴾[4] وفي الحديث: «فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»[5].

---

(١) النحل: آية ٤٠.
(٢) آل عمران: آية ٢٩.
(٣) فاطر: آية ٤٤.
(٤) هود: آية ١٠٧.
(٥) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ص ٢٤٦ كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز رقم الحديث ١٨٤٠.

وقد شاء الله تعالىٰ إيجاد هذا الكون بما فيه وبمن فيه من العوالم والخلائق، ووضع لهذا الكون سُنّة ثابتة يتحرك على أساسها فلا يخرج عنها في قليل ولا في كثير **﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾**(١) ولذلك كان هذا الوجود منسجماً كل الانسجام في كلياته وجزئياته فلا النجوم تخرج عن مداراتها ولا الكواكب تخرج عن مساراتها، ولا الشمس تسبق القمر ولا الليل يسبق النهار، ولا الأرض تصطدم بالقمر ولا الشمس تصطدم بالأرض، وهكذا كل جرم منها منضبط بقوة إلهية تمنعه من الانفلات والطيش في الفضاء كما قال تعالىٰ: **﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾**(٢) **﴿ويمسك السماء أنْ تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾**(٣).

فالأمن والسلام والانضباط ودورة الحياة ناشيء كل ذلك عن كلمة الله تعالىٰ الكونية التي تعلقت بها صفة القدرة الإلهية ولذلك استقام عالم المادة واستقر نظامها.

والإرادة الشرعية:

هي تلك التي يوجهها الله تعالىٰ إلى الإنسان في هذه الحياة وهي التي سماها الله تعالىٰ بالأمانة في قوله: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾**(٤).

وذلك أن الله تعالىٰ حين خلق هذا الإنسان زوده بالعقل الذي هو

---

(١) فاطر: آية ٤٣.
(٢) فاطر: آية ٤١.
(٣) الحج: آية ٦٥.
(٤) الأحزاب: آية ٧٣.

أداة التفكير والتحليل والاختيار ثم وجهه بالشرائع ليعينه في عملية الاختيار فلا يقع تحت ضغط وسوسة الشيطان الرجيم الذي يسعى بكل طاقته إلى تضليل الإنسان وتخسيره بإيقاعه في المخالفات الشرعية ليكون الإنسان شريكاً له في النهاية في نار جهنم يوم القيامة.

فالشيطان يسعى إلى إبطال هذه الكلمة الشرعية في حياة البشر ليوصلهم بذلك إلى التصادم بين فطرتهم التي جاءت الشرائع السماوية لتعين على بقائها سليمة وبين سلوكهم الذي يسعى الشيطان إلى إفساده عليهم كي يضلوا عن طريق الجنة.

ومعلوم أن التصادم ينشأ عنه خراب ودمار سواء في عالم الماديات أو في عالم المعنويات فإذا تصادمت الفطرة في نفس الإنسان مع سلوكه نتج عنه الاضطراب النفسي والشقاء المعنوي بينما الانسجام بين الفطرة البشرية والسلوك الإنساني يؤدي إلى الأمن والسلامة كما قال تعالىٰ: **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**[(١)].

وما يقال في الفرد يقال مثله في المجتمع فإنه إذا التزم أفراده بما أنزل الله تعالىٰ من شرائع انسجم بعضهم مع بعض وحلّ فيه الأمن والسلام لأن الله تعالىٰ: **﴿يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**[(٢)] ولأن الله تعالىٰ: «**أعطى كل ذي حق حقه**»[(٣)] وإذا لم يلتزم الأفراد أو بعضهم بما أنزل الله تعالىٰ من تلك الشرائع وتجاوزوها بالترك

(١) طه: آية ١٢٤.
(٢) النحل: آية ٩٠.
(٣) رواه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي مرفوعاً وقد قاله ﷺ في خطبة الوداع، وقال فيه: هذا حديث حسن. انظر تحفة الأحوذي جـ ٦ص ٣٠٩ كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث رقم الحديث ٢٢٠٣. ورواه أبو داود وابن ماجه، وهو من رواية إسماعيل بن عياش، وما يرويه عن أهل الشام مقبول، انظر جمع الفوائد جـ ١ص ٧٠٤ كتاب الوصية، رقم الحديث ٥٠٦٥.

أو بالمعارضة فإن ذلك سوف يؤدي إلى نشوب الخلاف بينهم وبالتالي يجرّ إلى النزاع ثم الصراع الذي يورث تلف الأموال والأنفس والأعراض فيشقى الناس بذلك.

وما قيل في الفرد وفي المجتمع يقال مثله أيضاً في البيئة، فإنها تتأثر بمن فيها من البشر فإذا كانوا ملتزمين بأوامر الله تعالىٰ الشرعية انسجمت البيئة معهم في ذلك ونشأ عن ذلك الانسجام عطاء إلهي للناس فترسل السماء بالمطر وتنشق الأرض بالنبات فيكون الغذاء ويكون الماء الذي يحيا به الإنسان والحيوان والنبات كما قال تعالىٰ: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**[1] **﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾**[2] وإذا لم يلتزموا بشرع الله تعالىٰ وكفروا به فإن ذلك يؤدي إلى أن تتصادم أعمالهم عندئذ الخارجة عن مقتضى الفطرة مع السنن الكونية في الحياة فينشأ عن ذلك شقاء كبير فيمتنع الخير الإلهي عن الناس فتمسك السماء من مائها وتمسك الأرض من نباتها حتى يقل ذلك أو ينعدم في بعض الأحوال أو الأماكن فيشقى الناس بذلك كما قال تعالىٰ: **﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾**[3] **﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾**[4].

ولا عجب بعد ذلك أن تكون نهاية الكون مع نهاية الإيمان على

---

(١) الأعراف: آية ٩٦.
(٢) المائدة: آية ٦٦.
(٣) النحل: آية ١١٢.
(٤) سبأ: آية ١٧.

وجه الأرض، وكأن الإيمان وقود حركة عالم الفلك فإذا انتهى توقفت الحركة، وبالتالي يفسد نظام الفلك فتتناثر أجرامه وتتطاير في الفضاء دون ضبط أو ربط فتتصادم عند ذلك ويكون الدمار الشامل والخراب الذي تنتهي به الحياة في هذا الكون كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»(١) وقد بين في رواية أخرى سبب كونهم شرار الناس وهو أنهم لا يؤمنون بالله تعالىٰ فقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»(٢).

فكما أن الروح هي وقود حركة الجسم في الإنسان ومتى خرجت تفسخ وفسد وكما أن الشرائع هي وقود حركة المجتمع متى خولفت دب الخراب في المجتمع، كذلك فإن الإيمان هو روح الكون وعنصر بقائه واستمراره، متى خرج من قلوب الناس في الأرض فسدت الحياة فيها وقامت القيامة.

ولذلك وصف الله تعالىٰ الدين الإلهي بأنه روح بصورة مطلقة فقال تعالىٰ: **﴿يُنزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾**(٣) أي الأنبياء والرسل، وقال تعالىٰ: **﴿يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾**(٤) وقال أيضاً: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها﴾**(٥) أي القرآن وهو وحي الله تعالىٰ إلى محمد ﷺ الذي جعله آخر كلمة سماوية شرعية إلى البشرية على وجه الأرض.

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ٢٩٥ كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، رقم الحديث ٢٠٢٢.
(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ٢٩٥ كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله. رقم الحديث ٢٠٢٠.
(٣) النحل: آية ٢.
(٤) غافر: آية ١٥.
(٥) القدر: آية ٤.

فالوحي الإلهي روح للفرد وروح للمجتمع وروح للكون به تكون الحياة وبدونه يكون الموت والخراب.

كما أن النبي ﷺ وصف الدين الإلهي بأنه كالماء تدبّ به الحياة في الأفراد والمجتمعات والأرض، فقال ﷺ: «مثل ما بعثني به الله من الهدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب[1] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[2] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[3].

فكان توحيد الله تعالىٰ الذي تضمنته الأديان السماوية الصحيحة المختومة برسالة محمد ﷺ حياة للفرد وللمجتمع وللبيئة على حدّ سواء.

مع أجدب بالجيم المعجمة الساكنة بعدها دال مهملة مفتوحة أي معيب، رض جدباء أي غير خصبة، لكنها مع ذلك تمسك الماء لصلابتها فينتفع به. انظر مختار الصحاح ص ٩٤.

اع وهو المستوي من الأرض بحيث لا يتجمع فيه ماء ولا ينبت فيه زرع، ار الصحاح ص ٥٥٦.

ي ج ١ ص ٣٠ كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم.

الباب الثاني
أنواع التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء، والصفات، والذي أوجب هذا التقسيم هو تسهيل عملية استيعاب المادة على الدارس وإن كانت هذه الأنواع الثلاثة يستلزم بعضها بعضاً، فإنه يلزم من كون الله تعالىٰ هو الخالق أن يكون هو الآمر الناهي لأنه أعلم بما ينفع هذا المخلوق مما يضره، كما يلزم من كونه هو الخالق أن يكون متصفاً بصفات الكمال والجلال لأن صفات الله تعالىٰ تنعكس في مخلوقاته، وبما أن الخلق موصوف بالإتقان التام ﴿**صنع الله الذي أتقن كل شيء**﴾[1] فإن ذلك يلزم منه أن يكون الله تعالىٰ متصفاً بصفات الكمال المطلق.

وهذا التقسيم أشبه ما يكون بتقسيم مادة الفقه الإسلامي إلى: عبادات ومعاملات وجنايات وأحوال شخصية، مع أنها كلها تعود إلى عبادة الله تعالىٰ.

ومن هنا فإن هذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول:

---

(١) النمل: آية ٨٨.

الفصل الأول

توحيد الله تعالىٰ في ربوبيته

الربوبية تعني الخلق والإيجاد من العدم والرزق والعطاء والعناية والرعاية وتصريف الأمور بما يحقق الغاية العليا التي خلق من أجلها هذا الكون وهو ظهور (الكمال المطلق فيه) كما قال تعالىٰ: **﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾**(١) **﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾**(٢).

فالله تعالىٰ هو رب كل شيء ومليكه **﴿الله خالق كل شيء﴾**(٣) **﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾**(٤) **﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾**(٥) **﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**(٦) **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**(٧) **﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعِزُّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾**(٨).

---

(١) النحل: آية ٣.
(٢) الرحمٰن: آية ٧.
(٣) الزمر: آية ٦٢.
(٤) الرعد: آية ٣٣.
(٥) فاطر: آية ٣.
(٦) الذرايات: آية ٥٨.
(٧) السجدة: آية ٥.
(٨) آل عمران: آية ٦.

ففي التصور الإسلامي الله تعالىٰ موجود وهو تعالىٰ واحد لا شريك له في ذاته كما لا شريك له في ألوهيته ولا في صفاته وأسمائه.

والحديث في ذلك التصور واقع في مبحثين:

المبحث الأول
وجود الله تعالىٰ

وفي القرآن أدلة قاهرة على وجود الله تعالىٰ وعلى وحدانيته تعالىٰ في هذا الوجود.

وقد اعتمد القرآن في إثبات هذه الحقيقة طريقين:

الطريق الأول: طريق الفطرة.

والفطرة هي الصفة التي يكون عليها المخلوق أول زمان خلقته(١)، فهي أشبه ما تكون بمعنى المادة الخام، أي التي لم يجر عليها التصنيع بعد، كالبترول عند استخراجه من الأرض حيث هو نوع من المادة القطرانية السائلة ثم بالتصنيع يتحول إلى مواد كثيرة: كالبنزين والكاز والزيوت على اختلافها، وكالحديد عند استخراجه من باطن الأرض حيث هو قبل التصنيع مادة خام ثم يتحول إلى أنواع عديدة ويستخدم في مجالات مختلفة، وهكذا سائر المعادن السائلة منها والصلبة والغازية.

والإنسان مؤمن بوجود الله تعالىٰ بفطرته أي بأصل خلقته قبل أن يدخل عليها ما يفسدها من المؤثرات الطارئة بفعل الشيطان الذي هو عدو الإنسان منذ أن خلق الله تعالىٰ آدم ثم جعل الناس يورث بعضهم بعضاً ما علق في أذهانهم من ضلالات وتمويهات أوقعهم فيها الشيطان بسبب بعد الناس عن هدي الله تعالىٰ الذي أنزله على أنبيائه ورسله حتى حرفوا ذلك

---

(١) مختار الصحاح ص ٥٠٦ .المنجد ص ٥٥٥.

الهدي وأفسدوا صفاءه الذي نزل به كما قال تعالىٰ: **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾**[(١)].

فقد بين القرآن أن الناس جميعاً خلقوا مؤمنين بالله تعالىٰ لأنهم كانوا قد اعترفوا لله تعالىٰ وهم في عالم الذرّ أي في عالم الأرواح وذلك بعد أن خلق الله تعالىٰ آدم أخرج من ظهره جميع ذريته التي سوف تخلق إلى يوم القيامة وأشهدها على ربوبية الله تعالىٰ لها فاعترفت لله تعالىٰ بذلك ثم أودعت الأرواح في السماء تنتظر كل روح منها متى تخلّق الجنين الخاص بها فينزل الملك بتلك الروح وينفخها في ذلك الجنين[(٢)]، وتبدأ دورته الحياتية عندئذ في عالم الأجنة حتى إذا ما اكتمل تخلقه خرج من بطن أمه لتبدأ دورته الحياتية في عالم المشاهدة ويمرّ في حياته هذه بأربعة مراحل هي: مرحلة الفطرة وتبدأ من الولادة إلى السابعة وهي المرحلة التي يكون فيها الإنسان سليماً من الانحراف عن مقتضى تلك الشهادة التي اعترف فيها لله تعالىٰ بربوبيته وهو في عالم الذرّ، ثم تليها مرحلة التمييز وتبدأ من السابعة وحتى العاشرة وفيها يبدأ بالتأثر من المحيط من حوله وأقرب مؤثر عليه في هذه المرحلة هو الأبوان فيتلقى الوليد عنهما ما يعتقدان من خلال تعامله معهما بنوع من الوعي والإدراك وإن كان محدوداً فيأخذ عنهما ما يدينان به.

وقد بين النبي ﷺ هذه الحقيقة في قوله: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء

---

(١) الأعراف: آية ١٧٢.

(٢) كما ورد في الحديث (إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح...) الحديث رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ ص ٢٤٨ كتاب القدر باب في الخلق يخلق والشقاوة والسعادة رقم الحديث ١٨٤٧.

هل تحسّون فيها من جدعاء حتى تكونون أنتم تجدعونها»[1].

فالتشوه والفساد يطرأ على الفطرة من المؤثرات الخارجة عن ذات الإنسان كما يحصل بشأن الشاة تولد سليمة ثم يقطع الناس أذنها أو يشرمونها، لتعرف بأنها لفلان أو للقبيلة أو للآلهة في الجاهلية، والمرحلة الثالثة: هي المراهقة وتبدأ من العاشرة وحتى البلوغ، والرابعة: مرحلة التكليف وتبدأ من البلوغ حتى الموت.

وتلك المؤثرات الطارئة تغلف الفطرة وتطمس نورها في القلب ولكنها لا تقضي عليها فتطفئها لأن الله تعالىٰ خلق الناس عليها فلا يمكن للإنسان أن يبدلها كما قال تعالىٰ: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾**[2].

كما أن هذه الفطرة هي نور الله تعالىٰ في القلب ولا يمكن لأحد أن يطفىء نور الله تعالىٰ كما لا يمكن لأحد أن يغير خلق الله تعالىٰ **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾**[3].

ولكنها مهما تغلفت وانطمست فإنها لا تلبث أن تعود لتنكشف حين يتعرض صاحبها للخطر وكلما كانت غفلته وتغليف فطرته أشد وأكثر كلما احتاج تحريك الفطرة في نفسه لينبعث نورها من جديد إلى خطر أشد حتى يصل الأمر به إلى خطر الموت، والهلاك حيث تتحرك الفطرة عندئذ بصورة قطعية.

---

(١) رواه البخاري ومسلم ولفظه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم يقول: اقرأوا **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾** فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء» ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه بألفاظ متقاربة. انظر جمع الفوائد جـ ١ص ٢٣ أحكام الإيمان والبيعة. رقم الحديث ١٠١.

(٢) الروم: آية ٣٠.

(٣) التوبة: آية ٣٢.

والدليل على ذلك من القرآن قول الله تعالىٰ في شأن فرعون الذي ادعى الألوهية: **﴿ما علمت لكم من إلٰه غيري﴾**[١] وادَّعى الربوبية **﴿أنا ربكم الأعلى﴾**[٢] فإنه حين عاين خطر الموت غرقاً انبعثت الفطرة من أعماق قلبه تعترف لله تعالىٰ بأنه الرب الخالق الذي يستحق وحده العبادة كما قال تعالىٰ: **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إلٰه إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾**[٣].

لكن الله تعالىٰ رفض إيمانه هذا لأنه إيمان اضطراري وليس اختيارياً فقال تعالىٰ: **﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾**[٤] وهذا الإيمان مرفوض من صاحبه مطلقاً كما يرفض إيمان الناس حين يرون الآيات الكبرى من علامات الساعة كطلوع الشمس من مغربها كما قال تعالىٰ: **﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**[٥].

وقد حكى الله تعالىٰ حال المشركين مع آلهتهم في وقت الأمن وحالهم معها في وقت الخطر حيث ينسونها ويلجئون إلى الله تعالىٰ عندئذ فقال تعالىٰ: **﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾**[٦] **﴿وهو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم قد أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما نجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾**[٧].

---

(١) القصص: آية ٣٨.
(٢) النازعات: آية ٢٤.
(٣) يونس: آية ٩٠.
(٤) يونس: آية ٩١.
(٥) الأنعام: آية ١٥٨.
(٦) العنكبوت: آية ٦٥.
(٧) يونس: آية ٢٢.

الطريق الثاني: طريق العقل.

والعقل هو الجزء الذي تتم به المعرفة وتحليل المعلومات الواردة إليه عبر الحواس الخمس ومحله الدماغ وقيل القلب، وقيل بينهما صلة وعلاقة.

والعقل قدر مشترك بين جميع البشر إلا أنهم يتفاوتون فيه بحسب خبرة وعلم كل منهم، لكن هناك قواعد عقلية هي من المسلمات لدى الناس جميعاً لا يختلف فيها الكبير منهم مع الصغير ولا العربي مع العجمي ولا الأبيض مع الأسود ولا المؤمن مع الكافر.

من هذه القواعد:

- لا ترجيح بلا مرجح.
- الضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان إذا وجد أحدهما انتفى الآخر.
- لكل حادث محدث.
- لا بد لكل حادث من بداية ونهاية.
- التسلسل باطل.
- الدور باطل.
- الخبر المتواتر يفيد العلم اليقيني.

وفي محاولة للاستفادة من هذه القواعد العقلية لدى طرح قضية إثبات وجود الله تعالىٰ على العقل لا بد وأن نرجع إلى القدر المشترك من هذه القواعد لدى البشر ليتم الإلزام بها لأنها محل اعتراف الجميع بها كما يضرب المثل للخاطب من واقع بيئته ليدركه.

ويمكن حصر الأدلة العقلية على وجود الله بخمسة أدلة وهي[1]:

---

(١) وانظر كتاب (العقيدة الإسلامية وأسسها) للشيخ عبد الرحمٰن حبنكة ص ١٢٧ فما بعدها.

(دليل الإلزام. دليل الإمكان. دليل التغير. دليل السببية. دليل الإتقان) وسنتحدث عن كل واحد منها باختصار يتناسب مع العرض العام لهذه المادة فنقول:

أولاً: دليل الإلزام:

ويعتمد هذا الدليل على القاعدة العقلية (الضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان إذا وجد أحدهما انتفى الآخر) وكل ما يخطر في البال يتساءل المرء هل الأصل فيه الوجود أم العدم، فإذا قيل جدلاً إنه العدم، قيل جواباً عليه: إنّ العدم صفة سلبية لا تؤثر في غيرها ونحن نرى أشياء موجودة في هذا الكون فكيف تحولت من العدم إلى الوجود مع أن القاعدة العقلية تقول: إنه لا ترجيح بلا مرجح فما الذي رجح فيها جانب الوجود علي جانب العدم. فصح أن الأصل في ذات ما يخطر بالبال الوجود وانتفى نقيضه وهو أن يكون أصله العدم.

وما كان أصله الوجود لا يصح أن يكون له بداية، لأنه لو كان له بداية لكان مسبوقاً بالعدم وقد أثبتنا أن الأصل هو الوجود فانتفى نقيضه وهو أن يكون الأصل هو العدم، وما كان لا بداية لوجوده فإنه لا نهاية لوجوده، لأن ما كان له بداية فإنه له نهاية، وما لا بداية له فإنه لا نهاية له إذ لو كانت له بداية لكان مسبوقاً بالعدم ولو كانت له نهاية لكان ملحوقاً بالعدم وقد أثبتنا أن الوجود هو الأصل فيه فلا يصح أن يكون مسبوقاً ولا ملحوقاً بالعدم.

فصح أن الله تعالىٰ هو الأصل ثم انبثق عنه الكون، فالأصل في الكون العدم وبالتالي فإن له بداية، وما كان له بداية فإن له نهاية فالكون لم يكن ثم وجد حتى إذا ما انتهى إلى أجله تحول إلى عدم **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾**[1] **﴿كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾**[2].

---

(١) القصص: آية ٨٨.
(٢) الرحمٰن: آية ٢٦.

وفي القرآن إشارة إلى أن الأصل هو الوجود وهو الله تعالىٰ في قوله: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾[1] أي هل جاؤوا من العدم أم أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم، فإذا لم تكن هذه ولا تلك لم يبق إلا أن الله تعالىٰ هو الذي خلقهم.

ثانياً: دليل الإمكان.

ويعتمد هذا الدليل على إيراد احتمالات لا حصر لها على كل شيء مما هو موجود من المخلوقات ثم يصار إلى السؤال عن سبب وجودها على النحو القائم دون كل تلك الاحتمالات العقلية فسيكون الجواب عند أهل الاختصاص والمعرفة أن سبب ذلك هو أن الحكمة من خلق هذا الموجود تقتضي أن يكون كذلك لا غير، والحكمة صفة الحكيم فهي تصدر عنه، مما يدل على أن وراء هذا الوجود موجد ووراء هذا المخلوق خالق هو الله تعالىٰ.

فعلى صعيد عالم الفلك:

كان يمكن عقلاً أن لا يكون عالم الفلك مكوناً من نجوم وكواكب، فإما أنْ يكون كله نجوماً أو كله كواكب. وكان يمكن عقلاً أن لا يكون متشكلاً من مجموعات فكلية مختلفة. وكان يمكن عقلاً أن تكون جميع الأجرام الفكلية بحجم واحد، وأن تكون ذات أبعاد متساوية فلماذا كانت على هذا النحو الذي هي عليه دون غيره، إنها الحكمة وهي صفة الحكيم وهو الله تعالىٰ.

وعلى صعيد الأرض:

كان يمكن أن تكون أكبر أو أصغر مما هي عليه وكان يمكن أن تكون اليابسة فيها أكبر من المياه عليها وكان يمكن أن تكون البحار حلوة وكان يمكن أن تكون اليابسة كلها سهولاً أو كلها جبالاً أو كلها ودياناً

(١) الطور: آية ٣٥.

فلماذا اختلفت وتنوعت، لقد اقتضتها الحكمة لتكون الأرض محل قرار الإنسان عليها والحكمة صفة الحكيم وهو الله تعالىٰ.

وعلى صعيد الإنسان:

كان يمكن أن يكون الإنسان برأسين أو أكثر وكان يمكن عقلاً أن يكون بيد واحدة أو بثلاثة أو أكثر، كان يمكن أن تكون اليد بجزء واحد أو باثنين بدلاً من ثلاثة وهي الكف والساعد والعضد وكذا يقال في القدم وكذا يقال أيضاً في الحواس الخمس وهكذا، لقد اقتضت الحكمة أن يكون الإنسان على ما هو عليه، والحكمة صفة الحكيم، وهو الله تعالىٰ.

وفي القرآن إشارة إلى هذا الدليل في قوله تعالىٰ: **﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إلٰه غير الله يأتيكم بنهار أفلا تبصرون﴾**[1].

ثالثاً: دليل التغير.

والتغير هو التحول من حال إلى حال، ويعتمد هذا الدليل على القاعدة القائلة (العالم متغيّر وكل متغيّر حاديث فالعالم حادث).

والتغيّر في الموجودات لا بدّ منه لتقوم بدورها المنوط بها ولولا ذلك التغيّر والتحوّل لما حصلت المنفعة المترتبة على وجودها فهي بحاجة إلى ذلك التغير وذاك دليل نقص فيها تحتاج إلى من يملأ عليها هذا النقص وهو الذي لا يحتاج إلى غيره أصلاً، فهو المستغنى عن الغير في حين أن الغير بحاجة إليه لتتم به حركتها ولتحصل به منفعة وجود هذه الأشياء.

والتغيّر يدخل في الذرة والخلية وفي النبات والحيوان والإنسان والفلك حيث تنتقل الشمس من المشرق إلى المغرب لينشأ عن ذلك الليل والنهار وما يترتب على ذلك من حركة الحياة في النبات الذي يأتيه

---

(١) القصص: آية ٧٢

السحاب بالمطر عبر عمليات التبخير بسبب حرارة الشمس حين تسطع على البحر وتسوقه الرياح إلى مختلف أماكن اليابسة.

وقد ورد في القرآن الإشارة إلى أن وجود عامل التغيّر والتحوّل في المخلوقات دليل نقص فيها يجعلها محتاجة إلى من لا يحتاج إلى غيره كما قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام **﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾**[١].

فكان تغيرها وتحولها دليلاً على نقصها وعدم أهليتها لأن تكون محلاً للعبادة لأنها خاضعة لقانون وضعه غيرها فهو الذي يستحق العبادة دونها وهو الله تعالىٰ.

رابعاً: دليل السببية.

والسبب هو ما كان وسيلة إلى غيره، فهو حلقة وصل وربط بين طرفين، فالحبل سبب في استخراج الماء من البئر مثلاً[٢]، والطائرة سبب في قطع المسافات البعيدة بين البلاد، والطعام سبب في استمرار تفاعل خلايا البدن لينشأ عنها الطاقة والحركة في الإنسان.

وعند النظر في الكون نجد أنه عبارة عن أسباب متصلة بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ينتهي إلى مسبب الأسباب وموجدها وهو الله تعالىٰ.

---

(١) الأنعام: آية ٧٩.
(٢) انظر مختار الصحاح ص ٢٨١.

فالكون يتألّف من أربعة عوالم رئيسية هي:

عالم الفلك وعالم السموات وعالم الكرسي وعالم العرش[1]، وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباط حلقات السلسلة تماماً بتمام، فعالم الفلك معتمد في حركته على عالم السموات، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: **﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾**[2] فحبة القمح يشترك في صناعتها بإذن الله عالم الفلك وعالم السموات. وذلك أن الأرض مرتبطة بالمجموعة الشمسية حيث ينشأ عنه الليل والنهار بما فيه من حرارة الشمس التي يتم بها عملية التبخير وعملية طبخ المواد الغذائية السارية في ساق وأوراق النبات والمجموعة الشمسية مرتبطة بالمجرة الكونية ثم المجرة مرتبطة بالمدينة النجومية كما للمدينة النجومية ارتباط بالقارة النجومية وللقارة النجومية ارتباط بعالم الفلك الذي يتكون من مليارات من هذه المجموعات الفلكية على اختلافها ثم لعالم الفلك ارتباط بعالم السموات قطعاً ولكننا لم نعرف حتى الآن وجه ذلك وكيفيته، ثم لعالم السموات ارتباط بعالم الكرسي بدليل قوله تعالىٰ: **﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾**[3] ثم إنّ لعالم الكرسي ارتباطاً بعالم العرش بدليل قوله تعالىٰ: **﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا الى ذي العرش سبيلا﴾**[4] فدل على أن العرش هو محل التأثير في عالم الكرسي والسموات والفلك كما قال تعالىٰ: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبّر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾**[5].

فالله تعالىٰ هو الذي يدبّر أمر كل ذرّة وخليّة في الكون وقد جعل لذلك سنناً وقوانين ومتى شاء غيّرها وبدّلها يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

---

(١) انظر بيان ذلك في البداية والنهاية جـ ١ص ٨ وما بعدها.
(٢) الجاثية: آية ١٣.
(٣) البقرة: آية ٢٥٥.
(٤) الإسراء: آية ٤٢.
(٥) يونس: آية ٣.

الدليل الخامس: دليل الإتقان.

ومعنى الإتقان الإحكام والدقة في صنع الشيء وإن وجود هذه الصفة في الشيء لتدلّ على وجود صانع له وأنه موصوف بالحكمة إذ هي وضع الشيء في محله.

والكون صنع الله تعالىٰ إذ لم يدّع أحد من البشر أنّه هو الذي خلق الكون بسماواته وأرضه، حتى المشركون في عهد النبي ﷺ يعترفون بهذه الحقيقة **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله﴾**[1] فلا ينسبون ذلك إلى أبي جهل ولا إلى أبي لهب.

وبإلقاء نظرة سريعة على الأرض كجزء من هذا الكون الواسع يتبيّن فيها طرف من ظاهرة الإتقان التي يشتمل عليها خلق هذا الكون الهائل:

- الأرض يبلغ قطرها ثمانية آلاف ميل.

- محيط الأرض أربعة وعشرون ألف ميل.

- سرعتها حول نفسها وحول الشمس ألف ميل في الساعة.

- تكمل دورة كاملة حول نفسها في اليوم، ودورة كاملة حول الشمس في العام.

- تشتمل قشرتها الأرضية على يابسة وفيها جبال ووديان وسهول وعلى ماء.

- يحيط بالأرض غلاف غازي تبلغ سماكته خمسمائة ميل ويتكون من ستة أنواع من الغازات: أكسجين، نتروجين، أرجون، كريبتون، كنسيون ونيون، وبنسب مختلفة.

تتهيأ الأرض بهذا التركيب لتصبح محلاً لقرار الإنسان عليها إلى

---

(١) لقمان: آية ٢٥.

حين قيام الساعة كما قال تعالىٰ: ﴿**والأرض وضعها للأنام**﴾[(١)] ﴿**ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾[(٢)].

والغلاف الغازي له دور بالغ في حماية الأرض من أشعة الشمس القاتلة وهي ما يسمى بالأشعة فوق الحمراء السامة وغيرها حيث يقوم الغلاف الغازي بعكس بعض أنواع الأشعة فيما يمتص البعض الآخر لتستمر عملية التفاعل الكيماوي بين الغازات التي يتشكل منها الغلاف الغازي ويوصل البعض الثالث منها إلى الأرض لتتم عمليات التفاعل في القشرة الأرضية والمياه والنبات والحيوان والإنسان.

كما أنه يحفظ هذه ـ الأرض من وصول الشهب والنيازك التي تتساقط بالملايين كل يوم على محيط الكرة الأرضية ولكنها حين تسقط وهي بسرعة هائلة ـ تبلغ أربعين ميلاً في الثانية الواحدة ـ تنزلق لدى التقائها بالغلاف الغازي لتسقط بعيداً عن الأرض ولولا الغلاف الغازي بتركيبته التي هو عليها لأدى ذلك إلى سقوط هذه الشهب والنيازك بأحجامها المختلفة على الأرض لتدمر معالم الحضارة وتقضّ مضاجع البشر على ظهرها حيث يبلغ قطر بعض هذه النيازك التي هي عبار عن كتل صخرية خمسة آلاف متر لو سقط على مدينة لأبادها عن بكرة أبيها ولنشر الرعب في جميع أنحاء الكرة الأرضية.

فأي إتقان هو أعظم في الدلالة على وجود خالق لهذا الكون الذي نعيش فيه لتمكين البشر على ظهر الأرض من الاستقرار في الحياة عليها ليقوموا بأداء الأمانة التي تحملوها فتكون ميدان اختبارهم في أدائها ليحاسبوا على ذلك يوم القيامة.

---

(١) الرحمٰن: آية ١٠.

(٢) الأعراف: آية ٢٤.

المبحث الثاني

وحدانية الله تعالىٰ

وهذه الأدلة الخمسة تدل على وجود خالق لهذا الكون من جهة وتدل على أنه واحد من جهة أخرى إذ لو تعدد الأرباب لأدى ذلك إلى تضارب وتعارض إراداتهم مما يوجد ظاهرة الاضطراب والفساد في الكون فربما أراد أحدهم خلق الأرض كروية وأرادها الآخر مكعبة وربما أراد أحدهم رحمة زيد أو رزقه وأراد الآخر معاقبته أو حرمانه.

وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالىٰ: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾**[١] وقال: **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾**[٢] وقال: **﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالىٰ عما يقولون علواً كبيراً تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾**[٣].

ومن هنا كان الإيمان بوجود الله تعالىٰ مغروزاً في النفس البشرية بحكم الفطرة وبحكم العقل على حد سواء، وجاء الشرع ليذكر بهذه الحقيقة تذكيراً وليس تعليماً كما بيّن الله تعالىٰ جواب المشركين لدى

---

(١) الأنبياء: آية ٢٢.

(٢) المؤمنون: آية ٩١.

(٣) الإسراء: آية ٤٢.

سؤالهم عمن خلق السموات والأرض والشمس والقمر ومن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ومن خلق البشر والحجر حيث يكون جوابهم بصورة قاطعة إنه الله.

قال تعالىٰ: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾**(١) **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾**(٢) **﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾**(٣) **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾**(٤).

هذا هو التصور الإسلامي لقضية توحيد الربوبية بمقتضى الأمانة التي حملها الإنسان كما بيّنها القرآن الكريم وشرحتها سنة رسول الله ﷺ.

وفي توحيد الربوبية توحيد للأمة حيث يلتقي أفرادها وجماعاتها على واحدة من القضايا الكبرى التي تجمع البشر وهي قضية الإيمان بوحدانية الله تعالىٰ في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته.

---

(١) العنكبوت: آية ٦١.
(٢) لقمان: آية ٢٥.
(٣) العنكبوت: آية ٦٣.
(٤) الزخرف: آية ٨٧.

الفصل الثاني

توحيد الألوهية

الألوهية مصدر بمعنى الأمر المطلق الذي لا يُردّ بحال من الأحوال وإنما يستوجب الطاعة المطلقة بلا تردد ولا توقف ولا تشكّك فالإله هو الذي يأمر فيطاع وينهى فيستجاب لنهيه، تقول فلان يتأله تألهاً أي يجعل من نفسه إلهاً على الناس واجب الطاعة عليهم بلا قيد ولا شرط وهو الأمر الذي كان يمارسه فرعون على أهل مصر كما أخبر الله تعالىٰ عنه قوله: **﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾**[(١)] **﴿فحشر فنادىٰ فقال أنا ربكم الأعلى﴾**[(٢)] حتى إنه كان قد هدد موسى عليه السلام حين دعاه إلى عبادة الله تعالىٰ فقال: **﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾**[(٣)] فالألوهية هي حق الطاعة المطلقة.

ولا يصح أن يسند هذا الحق إلى غير الله تعالىٰ بحال من الأحوال، لأن الله تعالىٰ هوالذي خلق الإنسان وخلق الكون وهذا ما لا يشك فيه أحد من الناس قبل ظهور مايسمى بالشيوعية الإلحادية كما قال تعالىٰ حكاية عن المشركين: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾**[(٤)] **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾**[(٥)].

---

(١) القصص: آية ٣٨.

(٢) النازعات: آية ٢٣.

(٣) الشعراء: آية ٢٩.

(٤) لقمان: آية ٢٥.

(٥) الزخرف: آية ٨٧.

وما دام أنّ الله تعالىٰ هوالخالق فيجب أن يكون هو الآمر لأنه أعرف بحقيقة هذا الخلق فهو حين يأمر أو ينهى لتحقيق مصلحة هذا المخلوق ومعالجة ما يطرأ عليه من خلل نفسي أو روحي إنما يأمر به انطلاقاً من علمه الشامل بما جبل عليه هذا المخلوق من طبائع فيأتي الأمر والنهي متطابقاً مع مصلحة الإنسان وبالتالي يكون معالجاً لأدوائه التي تطرأ على نفسه وروحه ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾[1] ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾[2] فما دام أنه هو الخالق فيجب أن يكون هو الآمر.

وذلك كالحال بالنسبة للآلة، فإن المصنع الذي يصنعها هو الذي يستحق أن يتولّى وضع برنامج صيانتها وإصلاحها عبر ما يسمى (المرشد الميكانيكي) لأنه أعرف بخفايا صنعتها وعملها من غيره فإذا تقيد صاحب الآلة بذلك المرشد أصلحها وإلا عرضها للعطل والخراب.

ومن هنا كان الله تعالىٰ وحده هو الذي يستحق دون سواه أن يتولى معالجة هذه النفس البشرية بالأمر والنهي ويجب على الإنسان أن يلتزم بذلك ليحقق لنفسه النفع والخير وإذا أشرك مع الله تعالىٰ غيره في تلقي الأوامر عنه فإن ذلك يؤدي إلى إفساد هذه النفس وإتلافها فيرجع الفشل على المنهجين معاً مما يؤدي إلى وصف منهج الله تعالىٰ بالتالي بالنقص وذاك ممنوع عقلاً وشرعاً، ولهذا نهى الله تعالىٰ عن الشرك ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك**﴾[3] وأخبر أن الشرك يبطل الإيمان والعمل ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾[4] وحذر من أثر الشرك وهو ما يصيب النفس البشرية بسببه من تمزق نفسي خطير يدمّر بنيانها ويهدم كيانها كما قال تعالىٰ: ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**﴾[5].

---

(١) الملك: آية ١٤.
(٢) الأعراف: آية ٥٤.
(٣) النساء: آية ٤٨.
(٤) الزمر: آية ٦٥.
(٥) الحج: آية ٣١.

ولهذا وصف الله تعالىٰ الشرك بالظلم العظيم فقال تعالىٰ: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾**[1].

وقد أوجب الله تعالىٰ تفريده في الألوهية أي بالأمر والنهي ليأتي بناء النفس الإنسانية منسجماً ومنسقاً ومتكاملاً وقوياً بصفتها الفردية والجماعية عبر ما أنزله الله تعالىٰ على الأنبياء والرسل من الوحي الذي سماه الله تعالىٰ ديناً في قوله: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾**[2] إذ معنى الدين الخضوع لله التام الشامل بلا تردد ولا توقف لأن ذلك ينافي الاستسلام الكامل لله تعالىٰ مما يؤدي إلى أن يعود الجانب الذي لم يستسلم فيه لله تعالىٰ على الجانب الذي استسلم فيه له تعالىٰ بالبطلان **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**[3] **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[4].

---

(١) لقمان: آية ١٣.
(٢) الروم: آية ٣٠.
(٣) آل عمران: آية ١٩.
(٤) آل عمران: آية ٨٥.

دور الدين في بناء كيان الفرد وكيان المجتمع وصيانته

وقد اعتمد الدين الذي جاء به محمد ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء والرسل على ثلاثة أركان تهدف إلى بناء النفس الإنسانية عبرها لتتخذ دورها في هذه الحياة في حالتها الفردية وحالتها الجماعية كما بين النبي ﷺ ذلك في الحوار الذي دار بينه وبين جبريل عليه السلام أمام أصحابه في المسجد فيما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد سواد الشعر شديد بياض الثياب لم ير عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال: يا محمد: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ، قال: صدقت، قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: يا محمد ما الإسلام؟ قال: أنْ تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً. قال: فما الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: يا محمد متى الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فما أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في النبيان. ثم خرج. فقال ﷺ: عليّ بالرجل، أي أحضروه، فبحثوا عنه فلم يجدوه. فقال ﷺ: أتدرون من السائل. قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم»[1].

فمن هذا الحديث يتبين أن أركان الدين ثلاثة: الإيمان، الإسلام، الإحسان أي الإخلاص في عمل الإيمان والإسلام، ثم اشتمل على بيان الساعة وعلاماتها وهي الوقت الذي يحاسب فيه الإنسان على مدى التزامه بالدين وأركانه. ولما كان دور الدين هو بناء كيان الفرد والمجتمع وصيانتهما فقد أوجب ذلك جعل الكلام هنا في ثلاثة مباحث:

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبو داود، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ١١ باب تعريف الإيمان والإسلام رقم الحديث ٣٦ وألفاظهم متقاربة.

المبحث الأول
بناء كيان الفرد

ويهدف دين الله تعالىٰ إلى إيجاد الجسد الإسلامي الواحد الذي يقذف الله تعالىٰ به الباطل فيدمغه ويزهقه كما قال تعالىٰ: **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**[١] **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**[٢].

ولما كان من طبع الإنسان أنه يميل إلى من يتجانس معه في المعتقد لشعوره فيه بالجزئية منه فقد وحّدَ الله تعالىٰ قلوب المؤمنين بأركان الإيمان ووحّدَ سلوكهم عبر الأحكام التشريعية، فكان بناء شخصية المؤمن الداخلية عبر إصلاح قلبه بأركان الإيمان وبناء شخصيته الخارجية عبر إصلاح جوارحه بأركان الإسلام، وها هنا مطلبان:

المطلب الأول
إصلاح القلب بأركان الإيمان

الإيمان معناه التصديق، ومحله الخبر، كما قال تعالىٰ حكاية على لسان إخوة يوسف في قولهم لأبيهم **﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾**[٣] وهو من الناحية الاصطلاحية الشرعية يطلق على التصديق بما

---

(١) الأنبياء: آية ١٨.

(٢) الإسراء: آية ٨١.

(٣) يوسف: آية ١٧

أخبر به رسول الله ﷺ من الأمور الغيبية التي حددها في جوابه لجبريل حين سأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ»[1].

فالإيمان بوحدانية الله تعالىٰ:

في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته يحفظ القلب من الخرافة والتي تبعث فيه الاضطراب والشقاء لتناقضها مع الفطرة التي خلق الله تعالىٰ عليها الإنسان حيث يتولد معها في القلب الاطمئنان والثبات كما قال تعالىٰ مُبَيِّناً هذه الحقيقة بعبارة جد صريحة: **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**[2] **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾**[3].

والإيمان بالملائكة:

من حيث وجودهم ومادة خلقهم وعلاقتهم بالله تعالىٰ وعلاقتهم بالكون من حيث التدبير والتسيير والتصريف بأمر الله تعالىٰ الذي خلقهم لهذه المهام في الكون كما قال تعالىٰ: **﴿والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمراً﴾**[4] **﴿والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً﴾**[5] **﴿والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً﴾**[6] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أدوار الملائكة الكونية بأمر الله تعالىٰ وحكمته، وكذا الإيمان بالملائكة من حيث علاقتهم بالإنسان في هذه الحياة الدنيا منذ أن يأتي الملك بروح الجنين من السماء وينفخها فيه وهو في بطن أمه إلى أن يولد حيث تحوطه ملائكة تحفظه من الشياطين كما قال تعالىٰ: **﴿له**

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن، انظر جمع الفوائد ج ١ص ١١ رقم ٣٦.

(٢) الرعد: آية ٢٨.

(٣) الأنعام: آية ٨٢.

(٤) النازعات: آية ٥.

(٥) المرسلات: آية ٥.

(٦) الصافات: آية ٣.

معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾[1] وإذا بلغ رافقه ملكان أحدهما يكتب له الحسنات والآخر يكتب عليه السيئات وكانا ملازمين له حتى الموت لا يفرطان في شيء مما عمل من صالحات أو سيئات **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[2] **﴿كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾**[3] حتى إذا اكتمل أجله نزع ملك الموت روحه ليذهب بها إلى علّيين إنْ كان مؤمناً صالحاً أو إلى سجين إن كان مجرماً كافراً بالله تعالىٰ **﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرّطون ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهوأسرع الحاسبين﴾**[4] فالإيمان بالملائكة له دور كبير في توفير ثقة الإنسان بالله تعالىٰ قدرة وإحاطة وعلما فيحمله ذلك على الاستقامة في حياته.

والإيمان بالكتب:

التي هي مضمون الوحي الذي ينزله الله تعالىٰ على الأنبياء والرسل عبر التاريخ البشري لإصلاح أحوال البشر بدلالتهم على طريق الخير وتحذيرهم من طريق الشر حتى لا يتمكن الشيطان من إضلالهم وتخسيرهم بالتمويه والتزوير فيكون الكتاب عنصر هداية البشر كما قال تعالىٰ: **﴿آلم، الله لا إلٰه إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾**[5] والفرقان هو القرآن وقد وصفه الله تعالىٰ بأنه هدى للناس أيضاً في قوله: **﴿آلم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾**[6] فالإيمان بالكتب السماوية عموماً وبالقرآن الذي هو المهمين على مضامينها ومحتوياتها بما

---

(١) الرعد: آية ١١.
(٢) ق: آية ١٨.
(٣) الانفطار: آية ١١.
(٤) الأنعام: آية ٦١.
(٥) آل عمران: آية ٤.
(٦) البقرة: آية ٢.

حفظه لنا منها فجمع كل ما فيها من خير وهداية ومن ثم جعل الله تعالىٰ حفظ هذا الكتاب موكولاً إليه هو تعالىٰ دون سواه حتى لا يدخل عليه من التحريف ما دخل على الكتب السماوية السابقة على أيدي علمائها كما قال تعالىٰ: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [١] يؤدي إلى شعور أهل الأديان بالتكامل والانفتاح فكلما جاء نبي بكتاب من عند الله تعالىٰ صدقه من بعده من الأنبياء حتى ختموا بمحمد ﷺ وأصبح من دلالة صدق الإيمان بالكتب السابقة الإيمان بالكتاب الذي جاء به محمد ﷺ.

والإيمان بالرسل جميعاً:

منذ أن كان آدم وإلى أن جاء محمد ﷺ دون تفريق بينهم في الإيمان بهم كما قال تعالىٰ: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾**[٢] يؤدي إلى شعور المؤمن بأن المؤمنين أسرة واحدة يجب أن يكونوا متآلفين متحابين متعاونين متناصرين على الخير والحق لأن رسالتهم جميعاً ذات هدف واحد هو إصلاح البشرية وذلك بتعبيدها لله تعالىٰ وحده دون شريك **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**[٣] فمن آمن ببعضهم دون بعض كان مفرقاً بينهم وقد بين الله تعالىٰ حكم من يفعل ذلك بقوله: **﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً، والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾**[٤] فلا إيمان لمن لم يؤمن بجميع رسل الله كما لا دين لمن لم يؤمن بجميع كتب الله تعالىٰ، فالإيمان بالرسل عنصر هام

---

(١) الحجر: آية ٩.
(٢) البقرة: آية ٢٨٥.
(٣) النحل: آية ٣٦.
(٤) النساء: آية ١٥٢.

من عناصر جمع البشرية على عبادة الله تعالىٰ وحده لفعل الخير في الأرض.

والإيمان باليوم الآخر:

الذي هو وقت قيام الساعة ونهاية عمر الكون ليحاسب العنصر البشري كله منذ أن كان آدم وإلى أن تقوم الساعة على ما كان قد فعله الإنسان في حياته الدنيا من خير أو شرّ فيكون الجزاء بعد ذلك إما جنة لمن استقام وإما ناراً لمن انحرف عن أمر الله تعالىٰ: **﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه فأمّا من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً﴾**(١) إن الإيمان باليوم الآخر ليحمل النفس على الاستقامة والاستعداد لفعل الخير.

والإيمان بالقدر:

خيره وشره من الله تعالىٰ والتسليم لأمر الله تعالىٰ فيما نزل به من مصيبة فيصبر عليها فلا يضجر ولا يفجر لأن في نزولها به أحد أمرين: إما أن تكون تكفيراً له عن خطاياه وذلك فيما إذا كان عاصياً أو فاسقاً وتسمى في هذه الحالة عقوبة ومحل ذلك ما إذا صبر عليها وإما أن تكون رفعاً لدرجاته وذلك فيما إذا كان صالحاً تقياً كما قال ﷺ: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فمن رضي فله الرضى ومن سخط فعليه السخط»(٢) وفي الحديث أيضاً: «ما يزال البلاء ينزل بالمؤمن حتى يدعه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة»(٣) فالإيمان بالقدر يولّد الرضى والطمأنينة في الحياة فلا

---

(١) الإنشقاق: آية ١٢.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن غريب، ولفظه: «وإن الله تعالىٰ إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط» انظر الترغيب والترهيب جـ ٤ص ٢٨٣ الترغيب في الصبر رقم الحديث ٢٢.

(٣) رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والترمذي وقال: حسن صحيح، انظر الترغيب والترهيب جـ ٤ص ٢٨١ باب الترغيب في الصبر رقم الحديث ١٤.

أمراض نفسية ولا تحسُّر على شيء مضى كما قال ﷺ: «وإذا أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»[1].

فالإيمان إذن يحفظ النفس البشرية من الاضطراب والضياع كما يهيئها لتلقّي مختلف التغيرات والتقلبات المادية والمعنوية التي تتعرض لها ويمنعها من الوقوع تحت ضغط هذه التقلبات لتواصل مسيرتها الإيمانية حتى تستوفى أجلها في هذه الحياة، كما يجعلها مستعدة للانفتاح على المتجانسين معها في المعتقد للتعاون في القيام بمهمة العبادة لله تعالىٰ في الأرض.

المطلب الثاني

إصلاح الجوارح بأركان الإسلام

والإسلام مصدر مشتق من الفعل أسلم الشيء يسلمه إذا أعطاه بالكلية دون أن يُبْقي منه شيئاً، فالإسلام هو الاستسلام التام والخضوع الكامل لله تعالىٰ بإسلام الجوارح والبدن لله تعالىٰ ليقوم بتطبيق وتنفيذ جميع ما يأمر الله تعالىٰ بفعله وبترك جميع ما ينهى الله تعالىٰ عنه من الأقوال والأفعال كما قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: **﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لربِّ العالمين﴾**[2] وكما قال تعالىٰ فيمن سلك هذا السبيل من الناس: **﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾**[3] وعن جزاء من

---

(١) رواه مسلم بلفظ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ص ٢٤٦ كتاب القدر باب الأمر بالقوة، رقم الحديث ١٨٤٠.

(٢) البقرة: آية ١٣١.

(٣) النساء: آية ١٢٥.

يستسلم لله تعالىٰ يقول عز وجل: **﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1].

وقد بين تعالىٰ أن من يستسلم لله تعالىٰ فقد عصم نفسه من الوقوع في الضلال والخسران في الدنيا والآخرة فقال تعالىٰ: **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور، ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾**[2].

ومن هنا أمر الله تعالىٰ بإسلام النفس لله تعالىٰ ليوجهها الله تعالىٰ إلى ما فيه خيرها **﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾**[3].

والله تعالىٰ حين يوجه النفس المستسلمة له فإنما يوجهها بعلمه بما جبلت عليه **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾**[4] فينشأ عن ذلك التوجيه الإلهي انسجام بين الإنسان والكون الذي يعيش فيه لأن خالق الإنسان والكون واحد وهو الله تعالىٰ كما أعرب إبراهيم عليه السلام عن هذه الحقيقة بقوله فيما حكاه الله تعالىٰ عنه **﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾**[5].

وقد بين النبي ﷺ أركان الإسلام لله تعالىٰ لجبريل حين سأله في ذلك الحوار: (يا محمد ما الإسلام. قال أنْ تشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً)[6].

---

(١) البقرة: آية ١١٢.
(٢) لقمان: آية ٢٤.
(٣) آل عمران: آية ٢٠.
(٤) الملك: آية ١٤.
(٥) الأنعام: آية ٧٩.
(٦) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبو داود. انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ١١ باب تعريف الإيمان والإسلام رقم الحديث ٣٦ والألفاظ فيه متقاربة.

وهذه الأعمال الجوارحية تعكس ما في القلب من الإيمان ليتعارف المتجانسون في المعتقد من خلالها فتنشأ فيما بينهم بسببها المودّة والألفة والموالاة ليتعاونوا فيما بينهم على مواجهة الباطل ودحره **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**(١). لأن النفوس مفطورة على التلاحم في حال التجانس وعلى التنافر في حال الاختلاف. لقوله ﷺ: «الأرواح جنود مجنّدة» وسيأتي قريباً.

ولهذا وضع الله تعالىٰ الأحكام التشريعية العملية لإظهار التجانس العقائدي في القلوب على الجوارح لتكون بمثابة الهوية التي تحدد جهة انتساب صاحبها:

أولاً: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهي من عمل اللسان حيث به يظهر ما في القلب الذي لا يعلم ما في قراره إلا الله تعالىٰ، وقد قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فالشهادتان تعربان عن اعتقاد الناطق بهما بأركان الإيمان، وتتضمن شهادة أن لا إلٰه إلا الله إذعان الناطق بها واعترافه بوحدة مصدر التلقي عنده فالآمر والناهي عنده هو الله تعالىٰ وحده بحيث يرفض أن يتعارض عنده أمر الله تعالىٰ مع أمرِ أحد سواه، وتتضمن شهادة أن محمداً رسول الله اتخاذه ﷺ قدوة وأُسوة في تبليغ وتنفيذ الأوامر الإلهية.

ثانياً: والصلاة صلة بين العبد وربه لتطهير القلب من أدران المعاصي لتعود إليه استقامة فطرته بعد أن يصيبها الغبش بسبب الانحراف عن أمر الله تعالىٰ بارتكاب المعاصي والمخالفات الشرعية، وقد أخبر ﷺ عن أثر المعاصي في القلوب بقوله: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يكونا على قلبين: على أبيض مثل الثلج لا تضرّه فتنة ما**

---

(١) الأنبياء: آية ١٨.

دامت السموات والأرض وعلى أسود مرباد كالكوز مُجخّياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً»[1] فإذا كثر ذلك الوكت على القلب غلفه حتى يطمس فيه نور البصيرة فيمنعه من رؤية الحق ومتابعته كما قال تعالىٰ: ﴿**كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[2].

وقد بين النبي ﷺ دور الصلاة في تطهير القلب من ذلك الوكت في قوله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات. ما تقولون أيبقىٰ من درنه شيء. قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[3].

كما أن الصلاة لها دور كبير في تحقيق استقامة صاحبها إذ هي تجديد للعهد بين العبد وربه في الاستجابة لأوامره فيحمله ذلك على ترك المعاصي ما بين الصلاة والتي تليها لأن نور الفطرة يشعر به الإنسان بضرر المخالفة الشرعية فيجتنبها ولذلك أخبر الله تعالىٰ عن أن الصلاة تعين على الاستقامة في قوله تعالىٰ: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾[4]، وفي الحديث: «من لم تنهه صلاته عن المنكر فلا صلاة له»[5] أي لأنه لم يؤدها على الوجه المشروع الذي ينشأ عنه حياة القلب وجلاؤه فيرى الحق فيتبعه ويرى الباطل فيجتنبه.

والصلاة تظهر التجانس العملي بين المؤمنين عبر الحركات فيها

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ٢٨٨ كتاب الفتن باب عرض الفتن على القلوب رقم الحديث ١٩٩٠.

(٢) المطففين: آية ١٤.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر جمع الفوائد جـ ١ص ١٣٣ كتاب الصلاة، رقم الحديث ٩١٢.

(٤) العنكبوت: آية ٤٥.

(٥) هذا الأثر مروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والأعمش من قولهم بلفظ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً» قال القرطبي: وقد روى أن الحسن أرسله عن النبي ﷺ وذلك غير صحيح السند. اهـ انظر القرطبي جـ ١٣ص ٣٤٨. ولكن سياق قوله تعالىٰ: ﴿**إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر**﴾ يؤيد ذلك.

ليتآلف المسلمون من خلال تجانس حركاتهم لأن سنة الله تعالىٰ أن المتشابهين في شيء من الخلق يتعاطف بعضهم مع بعض كالأسود مع الأسود من الناس والأبيض مع الأبيض والغني مع الغني وهكذا، لكن الشرع رفع هذا الاعتبار إلى التجانس في المعتقد ليجمع الناس عليه لأنه هو الذي يمتاز به الإنسان عن غيره وقد قال ﷺ مقرراً هذه الحقيقة: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف»(١).

وتشديداً على قضية التجانس الذي تحققه الصلاة وخاصة صلاة الجماعة فقد أمر النبي ﷺ بمتابعة الإمام فيها وحذر من مخالفته فقال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبر وإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع وإذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد»(٢) وحذر من يخالف الجماعة في صلاته وشبهه بالحيوان الخارج عن الهيئة البشرية فقال ﷺ: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله وجهه وجه حمار»(٣) فكأن الذي يخرج عن جماعة الصلاة مسابهٌ لمن يخرج عن جماعة المسلمين، وقد وصف الله تعالىٰ الخارجين عن جماعة المسلمين بأنهم بهائم في قوله تعالىٰ: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾**(٤).

فللصلاة دورها إذن في جمع شمل المؤمنين المتجانسين في المعتقد حتى استحقت أن توصف بأنها (عماد الدين) وأنْ تجعل العلامة الفارقة بين

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود. انظر كشف الخفاء جـ ١ص ١٢١ رقم الحديث ٣١٥.

(٢) رواه أبو داود بهذا اللفظ، وأصله في البخاري دون زيادة «ولا تركعوا حتى يركع... ولا تسجدوا حتى يسجد» انظر فتح الباري جـ ٢ص ١٧٩ رقم الحديث ٦٨٩ ورواه مسلم في الصلاة باب النهي عن مبادرة الإمام بالتكبير، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ص ٧٩ رقم الحديث ٢٧٦.

(٣) رواه مسلم جـ ٤ص ١٥١ كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود، انظر شرح النووي.

(٤) الأعراف: آية ١٧٩.

المؤمنين والكافرين كما قال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[1].

ثالثاً: والصيام عبادة بدنية سلبية تعتمد ترك الشهوات، شهوة البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لتقوية إرادة صاحبه كي يتمكن من حمل نفسه على الاستقامة على أوامر الله تعالىٰ التي يسعى الشيطان إلى إقصائه عنها مستغلاً ما جبل عليه هذا الإنسان من الشهوات فإذا قويت عزيمة الإنسان وصلبت إرادته تمكن من مخالفة الشيطان ورد كيده في نحره، وقد بين الله تعالىٰ الغاية من تشريع الصيام على هذه الأمة كما على الأمم السابقة بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾**[2] والتقوى عمل الجوارح كما الإيمان عمل القلب، وتقوى الجوارح التزامها العمل بما أمرت به والكف عما نهيت عنه من الأقوال والأعمال: والصيام بتقوية الإرادة في الإنسان يعين على ذلك، ولهذا حذر النبي ﷺ من لم يردعه صيامه عن المنكر بقوله: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[3].

رابعاً: والزكاة عبادة مالية تهدف إلى تطهير النفس من رذيلة الشح والبخل لما يؤدي إليه ذلك من تقطيع الأرحام بين الناس وإحلال الأنانية الفردية فكان الاعتبار الجماعي مع ما يرافق ذلك من إفساد في الأرض كبير كما قال تعالىٰ: **﴿فهل عسيتم إنْ توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم﴾**[4]. وفي الحديث: «اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح لا نعرف له علة. انظر الترغيب والترهيب ج ١ص ٣٧٩ رقم ٢.

(٢) البقرة: آية ٨١٨٥

(٣) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه، انظر فيض القدير ج ٦ص ٢٢٣ رقم الحديث ٩٠٢٤.

(٤) محمد: آية ٢٢.

حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[١].

فالزكاة تطهر النفس من هذه الصفة المرذولة كما قال تعالىٰ: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**[٢] وبواسطتها تصبح النفس قادرة على الالتئام مع الجسد الإسلامي العام والشعور بالجزئية من كُليّته حتى سميت بالزكاة بمعنى الطهارة والنماء فكأن الشح بمثابة الشوائب تحل في الجرح فتمنع من التئام بعضه على بعض فلا بدّ من إزالتها ليتمكن الجسد من العودة إلى ما كان عليه قبل أن تصيبه الجراح المعنوية التي يسعى الشيطان إلى إيقاعها فيه بإغرائه بالبخل والشح ليقطع روابط الأمة بعضها عن بعض فيضعفها كما قال تعالىٰ: **﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾**[٣] ومتى ضعفت الأمة استولى عليها أولياء الشيطان من أهل الباطل ولذلك يأمر الله تعالىٰ بتنظيف هذه الجراح المعنوية بتطهير النفس من شوائب البخل كما قال تعالىٰ: **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾**[٤] **﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾**[٥].

خامساً: والحج وهو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء النسك، وهو عبادة مالية بدنية يخرج بها الإنسان عن مألوف حياته ليواجه المصاعب والمشاق كي يلتقي مع المؤمنين الوافدين إلى بيت الله تعالىٰ من كل مكان في الأرض **﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق ليشهدوا منافع لهم﴾**[٦] فيلتقي الغني والفقير والأبيض

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم ج ٢ص ٢٤٣ كتاب الظلم باب تحريم الظلم، رقم الحديث ١٨٢٩ وأوله «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح . . .».

(٢) التوبة: آية ١٠٣.

(٣) البقرة: آية ٢٦٨.

(٤) المزمل: آية ٢٠.

(٥) البقرة: آية ٢٦١.

(٦) الحج: آية ٢٧.

والأسود والأمير والمأمور والعربي والعجمي في مكان واحد يؤدون نسكاً واحداً من طواف بالبيت إلى سعي بين الصفا والمروة إلى الإقامة بمنى يوم التروية إلى الوقوف بعرفة حتى الغروب إلى المبيت بمزدلفة حتى الصباح إلى الدّفع إلى منى صباح العاشر حيث يرمون جمرة العقبة ثم يحلقون أو يقصرون وينحرون ثم يطوفون طواف الإفاضة ثم يبيتون بمنى لرمي الجمرات ثلاثة أيام ثم يطوفون طواف الوداع عائدين إلى بلادهم وقد حملوا في نفوسهم معاني الوحدة والألفة والأخوة التي ذابت دونها الحدود والسدود والفوارق ليتلاحم المؤمنون في مشاعرهم تجاه قضاياهم العامة المشتركة فيصبحون في محبتهم ومودتهم وألفتهم كالجسد الواحد كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)] وهذا من أعظم ما يشهده الحجاج من منافع الحج حيث يشعرون بوحدة الأمة بسبب شعورهم وإيمانهم بوحدة الخالق الذي دعاهم فأجابوا «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[(٢)].

وعندما نقوم بعملية ربط بين الركن الأول بعد الشهادتين وهو الصلاة والركن الأخير من أركان الإسلام وهو الحج نجد أن المسلمين يرتبط بعضهم مع بعض عبر الصلاة التي يتوجهون فيها إلى القبلة في مكة حيث الكعبة ويحجون إلى مكة حيث يطوفون بالكعبة طواف القدوم وطواف الإفاضة وطواف الوداع فيرتبط كل منهم بأخيه في كل زمان وفي كل مكان حتى يسري فيهم الشعور بروح الأخوة التي هي بمثابة الجهاز العصبي في البدن يثير المشاعر في البدن لدى إصابة أي جزء منه فيتحرك سائره لإنقاذه والتفاعل معه وإن كان في أقصى الأرض.

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ص ٢٣٣ كتاب البر والصلة، باب المؤمنون كرجل واحد رقم الحديث ١٧٧٤.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ص ١٧٦ كتاب الحج باب التلبية، رقم الحديث ٦٦١.

المبحث الثاني
بناء كيان المجتمع

وأما بناء كيان المجتمع فقد حقق الإسلام ذلك من خلال خمسة مطالب:

المطلب الأول
بناء كيان الفرد

وذلك بتصحيح تصوره في قلبه بأركان الإيمان وبتصحيح سلوكه بأركان الإسلام كما تحدثنا ليوجد منه كيان الأسرة حيث هي عبارة عن مجموع الأفراد.

المطلب الثاني
بناء كيان الأسرة

وذلك بتشريع أحكام لتحديد علاقة الزوج بالزوجة، فأوجب على كل منهما أن يبحث عن توفر عنصر الدين في صاحبه كما قال ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1] وخاطب المرأة بمثل ذلك فقال: «إذا

---

(١) رواه مسلم، وتمامه «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» انظر مختصر مسلم للمنذري ج ١ص ٢٠٧ كتاب النكاح باب نكاح ذات الدين، رقم الحديث ٧٩٨.

جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إنْ لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»(1) والمقصود بصاحب الدين من توفر فيه أركانه وهي: الإيمان والإسلام والإحسان أي الإخلاص فيها.

وإذا تم الاقتران بينهما فقد أوجب على كل منهما واجبات تجاه الآخر وسن له حقوقاً عليه لتدوم الألفة والمحبة بينهما فأعطى للرجل حق القوامة على الأسرة **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾**(2) وشرع لمعالجة ما قد يقع بينهما من خلاف أحكاماً **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾**(3) وإذا لم ينفع ذلك فليتدخل ذووا العقل والحكمة من أهل الزوج وأهل الزوجة للبحث عن حل وإلا فالطلاق **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إنْ يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾**(4) فإذا لم يحصل فالفراق هو العلاج الأخير **﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاًّ من سعته﴾**(5).

كما شرع الله تعالىٰ أحكاماً لضبط علاقة الأبناء بالآباء **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما**

---

(1) رواه الترمذي بلفظ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» عن أبي هريرة مرفوعاً ثم قال: قد خولف عبد الحميد بن سليمان في هذا الحديث فرواه الليث بن سعد عن ابن عجلان عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مرسلاً، قال محمد: وحديث الليث أشبه ولم يعدّ حدث عبد الحميد محفوظاً، ثم رواه عن أبي حاتم المزني بنحوه ثم قال: هذا حديث حسن غريب. انظر تحفة الأحوذي جـ ص ٢٠٥ كتاب النكاح رقم الحديث ١٠٩٠.

(2) النساء: آية ٣٤.

(3) النساء: آية ٣٤.

(4) النساء: آية ٣٥.

(5) النساء: آية ٣٠.

جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾[1] وأوجب على الوالدين الإحسان والتربية للأبناء **﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾**[2] وفي الحديث: «ألا كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته فالأمير راع وهو مسئول عن رعيته والأب راع في بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها»[3].

وهكذا يوجد الشرع من الأسرة الملتزمة بأحكامه لبنة قوية في بناء كيان المجتمع الذي هو عبارة عن مجموع الأسر وبدونها تصبح الأسرة هشة ضعيفة يسهل على العدو اختراق المجتمع من خلالها فيستميل بعض أفرادها لتحقيق مصالحه على حساب أمن الأمة وإيمانها.

المطلب الثالث

العلاقة مع الجوار

وذلك أن الحي عبارة عن مجموع الأسر فيه وهي متجاورة فينشأ عن تجاورها علاقات وروابط إذا لم تكن منضبطة بما يحول دون تفككها فإنها تصبح محلاً خطيراً لاختراق العدو للحي والبلد حيث يستميل بعض الجيران ضد بعض مستخدماً ما يعرف كل منهم عن الآخر فيخلخل المجتمع ويضعفه ويدمره ثم يسيطر عليه، ولهذا أكد الإسلام على حسن الجوار تأكيداً بالغاً حتى قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[4] وقد قال تعالىٰ موصياً بالجار: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾**[5].

---

(١) الإسراء: آية ٢٤.

(٢) النساء: آية ١١.

(٣) رواه مسلم بقريب من هذا اللفظ، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ٧٩ كتاب الإمارة، باب كلكم راع. رقم الحديث ١٢٠١.

(٤) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ٢٣٣ كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار. رقم الحديث ١٧٨٠.

(٥) النساء: آية ٣٦.

وقد قسم النبي ﷺ الجيران بحسب الحقوق لتشمل المعاملة الحسنة جميع الجيران على اختلاف أديانهم وقراباتهم فقال ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق، فالذي له حق واحد هو الجار غير المسلم له حق الجوار، والذي له حقان هو الجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام والذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة»[1].

وقد هدد النبي ﷺ من يؤذي جاره بسلب وصف الإيمان عنه فقال ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله، قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[2] واعتبر ﷺ حسن الجوار من الإيمان فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»[3].

وحين سئل عن امرأة كانت كثيرة الصلاة والصيام والصدقة غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال ﷺ: «هي في النار»[4].

فصح أن حسن الجوار من الإيمان وأن الشرع يأمر به ليحافظ على المجتمع الإسلامي داخله لئلا يتعرض للاختراق لحساب أعداء الأمة.

---

(١) رواه الحسن بن سفيان والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدي من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف، كما قال العراقي في تخريجه لأحياء علوم الدين جـ ٢ص ٢٧٠ حقوق الجوار. قلت: ولكنه يقوى بالأحاديث الآتية بعده. وفيما ذكرناه من الحديث تقديم وتأخير في اللفظ.

(٢) رواه البخاري جـ ٨ص ١٢ كتاب الأدب. باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

(٣) رواه البخاري جـ ٨ص ١٣ كتاب الأدب. باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره.

(٤) رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة بإسناد صحيح أيضاً. انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ص ٣٥٦ باب الترهيب من أذى الجار رقم الحديث ١٩.

المطلب الرابع

العلاقة مع ذوي الأرحام

والمقصود بهم ذووا القرابة من النسب لكل إنسان، وذلك أن النسب يعني رابطة الدم بين الناس بالولادة المشتركة من جهة الآباء أو من جهة الأمهات، ومن طبيعة الإنسان أنه يميل إلى من يشترك معه في النسب لشعوره بالجزئية منه، لكن الشرع ارتفع بهذه الصلة حتى ربطها بالإسلام فقويت بوجوده معها ولكنه لا يقطعها في حال انعدامه إلا إذا كان النسيب مجاهراً بعدائه للإسلام ومحارباً له ولأهله فعندئذ يقدم عليها رابطة الدين ويقطع رابطة النسب في هذا الحالة لأن الدين أقوى نفعاً للبشرية من رابطة النسب حتى قال تعالىٰ مادحاً أصحاب رسول الله ﷺ حين حاربوا من حارب الله ورسوله من أهلهم **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾**(١).

وفي حال انعدام المحاربة لله ورسوله من ذوي الأرحام فإن المطلوب صلتهم والإحسان إليهم بالكلمة الطيبة والعمل الصالح كما قال تعالىٰ: **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾**(٢).

وقال ﷺ محذراً من قطع صلة الأرحام: «لا يدخل الجنة قاطع»(٣) أي للرحم لما يؤدي إليه قطع الرحم من الفساد في الأرض حيث تتأجج

---

(١) المجادلة: آية ٢٢.

(٢) لقمان: آية ١٥.

(٣) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ص ٢٣٠ كتاب البر والصلة. باب صلة الرحم وقطعها رقم الحديث ١٧٦٥ ولفظه: «لا يدخل الجنة قاطع» قال ابن أبي عمر: قال سفيان: يعني قاطع رحم.

الأحقاد وتشتد الكراهية ويدخل الشيطان من خلالها على القلوب فيفسد بعضها على بعض ثم يتمكن أعداء الأمة من استغلال الأقرباء ضد بعضهم البعض لتحقيق مآرب أعدائهم الذين يعملون على تحقيق مصالح بعض ذوي الأرحام المالية أو الوجاهية أو الجنسية مستخدمين معرفة بعضهم بدقائق حياة وحركة بعض فيكون الفساد في الأرض كما قال تعالىٰ: **﴿فهل عسيتم إنْ توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾**(١) وقد نهى الله تعالىٰ عن الفساد في الأرض بكل صوره فقال تعالىٰ: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**(٢).

فالأمر بصلة الرحم يهدف إلى المحافظة على الأمة من داخلها لئلا يخترقها أعداؤها عبر العائلات والقبائل المفككة الضعيفة.

المطلب الخامس

الأُخوة الإسلامية العامة

وقد ربط الإسلام بين أتباعه على صعيد القاعدة وعلى صعيد القمة.

الميدان الأول: على صعيد القاعدة: أوجب الله تعالىٰ على المؤمنين به أن يحب بعضهم بعضاً وأن يرحم بعضهم بعضاً وأن يتعاون بعضهم مع بعض فأوجب تعالىٰ الولاء فيما بين المؤمنين وهو المحبة والمناصرة فقال تعالىٰ: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾**(٣) وقال: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾**(٤).

فالمؤمن لا بدّ وأن يكون متصلاً مع المؤمنين اتصالاً وثيقاً حتى لا يتعرض للضياع بأن تتخطفه شياطين الجن والإنس فتضله عن سبيل الله تعالىٰ كما قال ﷺ: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»(٥) وقال:

---

(١) محمد: آية ٢٢.

(٢) الأعراف: آية ٥٦.

(٣) التوبة: آية ٧١.

(٤) المائدة: آية ٥٥.

(٥) رواه أحمد والطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل مرفوعاً بلفظ: «إن الشيطان=

«الشيطان ذئب الإنسان»[1] وفي الحديث أيضاً: «يد الله مع الجماعة فمن شذّ شذّ في النار» [2] فكما أن الخلية لا يمكن أن تحيا بعيداً عن البدن حيث تموت إذا انفصلت عنه، كذلك فإن الإنسان المؤمن يضل إذا انفصل عن الجسد الإسلامي العام.

وفي سبيل تحقيق الولاء بين المؤمنين حرم الله تعالىٰ كل ما يؤدي إلى تفكيك الروابط الإيمانية بين المؤمنين مما يوجد الحقد والكراهية والحسد والظن السيء من الغيبة والنميمة والغش والكذب والخيانة والغدر والسخرية والهمز والغمز واللمز فقال تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إنّ بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾**[3].

وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4] ولذلك حرم الله تعالىٰ الغش في البيع والشراء كما حرم البيع

= ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشِّعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد» كذا في جمع الفوائد جـ ١ص ٨٤٧ رقم ٦٠٤٨ قال الهاشم اليماني معلقاً عليه: ورجال أحمد ثقات، إلا أن العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ، كذا في مجمع الزوائد ص ٢١٩ .اهـ قلت: وهو كما قال.

(١) نفس المصدر.

(٢) رواه الترمذي وحسنه بلفظ: «يد الله على الجماعة» ورواه الطبراني عن عرفجة بن شريح ويقال ابن جريج بلفظ: «يد الله مع الجماعة. انظر كشف الخفاء جـ ٢ص ٥٤٧ رقم ٣٢٢٣».

(٣) الحجرات: آية ١٢.

(٤) رواه خالد بن عبدالله القشيري عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال ليزيد بن أسد (أحب للناس ما تحب لنفسك) وفي رواية قال لي رسول الله ﷺ: «أتحب الجنة»، قال: قلت: نعم، قال: أحب لأخيك ما تحب لنفسك» رواه الطبراني =

على البيع والخطبة على الخطبة وحرم الربا والزنا والسحر والقذف وشربَ الخمر والقتل ونحو ذلك من الكبائر ووضع لها عقوبات وحدوداً لما لسريانها في المجتمع من خطر على وحدته وتماسكه حيث يدخل أعداء الأمة عليه من خلالها بتأليب الناس بعضهم على بعض ليضرب بعضهم أعناق بعض وليطعن بعضهم في أعراض بعض فيضعف الجميع ويهمين عليهم عدوهم.

فتلاحم القاعدة بعضها مع بعض يؤدي إلى تقوية كيان الأمة في مواجهة سهام أعدائها المادية والمعنوية لتصبح كالقلعة الحصينة.

الميدان الثاني: على صعيد القمة: أوجب الله تعالىٰ على المؤمنين أن يكون لهم رئيس يرعى شئونهم ويحقق مصالحهم من خلال الالتزام بشرائع الله تعالىٰ التي وردت في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ كما قال ﷺ: «من مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» لأنه لا يمكن أن يحيا المجتمع الإسلامي آمناً مطمئناً إذا لم يكن له رئيس يسهر على رعاية مصالحه وتحقيق الأمن لأبنائه حيث يتحول بدون الرئيس إلى كتل بشرية متناحرة متصارعة يفني بعضها بعضاً في سبيل تحقيق المصالح الذاتية المتفاوتة لأن الرئيس يفصل بين المتنازعين وينهي الخلاف بين المختصمين بتوزيع الحقوق والواجبات في الناس فلا يتعدى بعضهم على حقوق بعض ولا على دمائهم ولا على أعراضهم ولا على أموالهم فيستقيم حال المجتمع عندئذ كما يستقيم حال الجسم إذا كان له رأس حيث يعمل على إدارة مصالح البدن بجلب النفع له ودفع الضر عنه، وبدون الرأس فيه يفقد روحه ثم يتحول كل مجموعة من خلاياه إلى ديدان يأكل بعضها بعضاً حتى يفنى الجسد كله.

وأيضاً فإنه كما أوجب أن يكون للجسد الإسلامي رئيس فقد أوجب أن يكون هذا الرئيس واحداً فحرم تعددية القيادة وإن أدى منعها إلى إراقة

= في الكبير والأوسط بنحوه ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد جـ ص ١٨٦ كتاب البر والصلة باب إكرام المسلم.

الدماء وإتلاف الأموال للقضاء على القيادة الجديدة المعتدية فقال ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[1] وفي رواية: «من جاءكم وأمركم جميع يريد شق عصاكم فاضربوا عنقه كائناً من كان»[2].

وذلك لأنه متى تعددت القيادة تصارع القادة ليفرض كل منهم نفسه على غيره ومن ثم يعمد أعداء الأمة إلى استغلال هذا الخلاف بتنميته ودعم المختلفين ليتحول الصراع بينهم إلى نزيف تضيع من خلاله طاقات الأمة المادية والبشرية لإضعافها ثم فرض الهيمنة عليها وإلغاء دورها الإيماني على ظهر الأرض وبذلك ينتشر الفساد في الأرض ويقوى على الحق وأهله.

ولهذا نهى الله تعالىٰ عن تعديد الولاء في الأمة وحذر منه فقال تعالىٰ: **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، إنْ لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾**[3] لأن تعديد الولاء في المؤمنين يضعفهم فيقوى عليهم الكافرون ويفرضون كفرهم على الناس وهذا هو الفساد في الأرض.

ولكي يتحقق للأمة الموحدة في ولائها على صعيد القاعدة وعلى صعيد القمة القوة والعزة والكرامة فإن الله تعالىٰ ربط بين القمة والقاعدة بالطاعة من القاعدة للقمة وإن على حساب النفس والمال «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره»[4] وفي رواية: «تسمع وتطيع وإن

---

(١) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٨٧ كتاب الإمارة باب إذا بويع لخليفتين. رقم الحديث ١٢٠٠.

(٢) رواه مسلم بلفظ: (من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان). وفي رواية: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه) انظر شرح النووي على مسلم جـ ١٢ ص ٢٤٢ كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٣) الأنفال: آية ٧٣.

(٤) رواه مسلم، وتمامه: (إلاّ أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٩٢. كتاب الإمارة. باب إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. رقم الحديث ١٢٢٦.

ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»[1] لأن التمرد على أوامر القمة يؤدي إلى إضعافها أمام العدو ويرجع ضرر ذلك على الأمة كلها فتفتدى المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة وعند الله لا يضيع العمل الصالح والتضحية في سبيله ﴿**فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾[2].

وحتى لا تتحول القمة بهذه القاعدة إلى ما يحقق لنفسها النفع مستغلة حق الطاعة لها على القاعدة وتتحول بذلك إلى إله يعبد من دون الله تعالىٰ بالخروج على أوامر الله تعالىٰ تحقيقاً لتلك المصالح الذاتية فقد حرم الله تعالىٰ طاعة القمة إذا أمرت بمعصية فقال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف»[3] فطاعة القمة مشروطة بما إذا كان أمرها لا يتعارض مع أمر الله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

وأما إذا كانت القمة تمارس المعصية في نفسها ولكنها لم تأمر بها فلا يستوجب ذلك نزع يد الطاعة منها مع وجوب نصحها بالأسلوب المناسب المعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة ما لم تخرج القمة بالمخالفة عن دين الله تعالىٰ خروجاً صريحاً واضحاً كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»[4].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود، انظر جمع الفوائد جـ ٢ ص ٧١٢ كتاب الفتن رقم الحديث ٩٧٩٠ وهو جزء من حديث حذيفة في الفتن.

(٢) يوسف: آية ٩٠.

(٣) رواه مسلم وفيه قصة وهي أنّ رسول الله ﷺ بعث جيشاً وأمّر عليهم رجلاً فأوقد ناراً وقال: ادخلوها فأراد ناس أن يدخلوها وقال الآخرون: إنما فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة، وقال للآخرين قولاً حسناً وقال: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف» انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٩٢ كتاب الإمارة. رقم الحديث ١٢٢٥.

(٤) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٩١ كتاب الإمارة باب البيعة على السمع والطاعة. رقم الحديث ١٢٢١.

كل ذلك حفاظاً على وحدة الأمة أن يجتهد بعضها في تكفير بعض فينتشر فيها القتل والاقتتال وتكون الفتنة والفساد في الأرض.

ومن هنا أصبحت وحدة الأمة من توحيد الله تعالىٰ وتمزيق الأمة على صعيد القمة وعلى صعيد القاعدة كفر بالله تعالىٰ كما قال تعالىٰ مقرراً وحدة الأمة بتوحيده تعالىٰ: **﴿إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**[1] وقال تعالىٰ مقرراً كفر من يمزق الأمة قمة أو قاعدة متستراً بالدين الذي أنزله الله تعالىٰ لتوحيدها عبر توحيده **﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾**[2] وقال: **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾**[3].

---

(١) الأنبياء: آية ٩٢.
(٢) الروم: آية ٣٢.
(٣) آل عمران: آية ١٠٧.

المبحث الثالث

صيانة الفرد والمجتمع

وقد شرع الله تعالىٰ لصيانة الأمة من التحلل والانهيار بسبب وجود المخالفات الشرعية في الأرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله: فهما عاملان، كلّ منهما في مطلب مستقلّ:

المطلب الأول

العامل الداخلي

وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد شدّد الله تعالىٰ على ذلك وأكد لأن انتشار المنكر في الأمة وهو المخالفات الشرعية يضعفها ويدك أركانها لأن المنكر يستوجب غضب الله تعالىٰ فيرسل عليها ألوان العذاب والانتقام عقوبة عاجلة لها في الدنيا حتى يتسلط عليها أعداؤها فيذيقونها الذل والهوان كما قال ﷺ: «والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو أخياركم فلا يستجاب لهم»[1] وقال تعالىٰ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حبان بن علي وهو متروك وقد وثقه ابن معين مرة وضعفه مرة أخرى، انظر مجمع الزوائد جـ ٧ ص ٢٦٦ كتاب الفتن. باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لكن هذا الحديث يؤيده أحاديث صحيحة كثيرة كحديث: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. انظر جمع الفوائد جـ ٢ ص ٣٦٩ رقم الحديث ٧٨٩٩ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مُبيناً أثر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المستوجب للطرد من رحمة الله تعالىٰ: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يصنعون﴾**(١) ويدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة الحدود والتعزيرات في الأمة.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علاج طبي وأحياناً عملية جراحية لإعادة الجسم الإسلامي إلى صحته وسلامته.

وقد بين النبي ﷺ أثر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتشبيه بديع فقال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم وقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً وإذا أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»(٢).

المطلب الثاني

العامل الخارجي

وهو الجهاد في سبيل الله تعالىٰ، حيث جعل من الجهاد لفتح البلاد ونشر الدعوة خطّاً دفاعياً أولياً في المحافظة على الأمة من عدوها لأن من لا يهاجم عدوه يهاجمه عدوه كما هي القاعدة في ملء الفراغ فإن الكأس إذا لم يملأه الماء ملأه الهواء قال تعالىٰ: **﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾**(٣) وقال تعالىٰ: **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾**(٤) **﴿يا أيها آمنوا اتقوا الله**

(١) المائدة: آية ٧٨.

(٢) رواه البخاري جـ ٣ ص ١٧٣ كتاب الشركة باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه. ورواه الترمذي وصححه، بألفاظ متقاربة انظر تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٣٩٤ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث ٢٢٦٤.

(٣) التوبة: آية ٣٦.

(٤) آل عمران: آية ١٤٢.

وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾[1].

والتقاعس عن الجهاد يعرض فاعله إلى غضب الله تعالىٰ وعذابه الشديد **﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليلٌ إن لا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾**[2]. ثم قال حاضاً على الجهاد لما له من تأثير بالغ على حياة الأمة **﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون﴾**[3] وفي الحديث: «من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»[4] فالجهاد عملية تطهيرية للأرض من رجس الكفر وعدوان الكافرين.

وبهذه التشريعات يحفظ الله تعالىٰ الفرد ويحفظ المجتمع من الضلال والضياع في رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة إذا وحّد المؤمن ربه تعالىٰ في تلقي تلك الأوامر ولم يدخل عليها قول غير الله تعالىٰ لأن ذلك يضعضع كيان الإيمان فيه ويعرضه للانهيار الذي يغري أعداء هذه الأمة بها وبالتالي يهزم هذه الأمة أمام أعدائها في المواجهة بين الحق والباطل على كل صعيد سياسياً كان أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو حضارياً أو عسكرياً لأن اعتبار قول غير الله تعالىٰ معه يوقع صاحبه في الشرك وهو مبطل للإيمان وللعمل فيبوء صاحبه بالخسران كما قال تعالىٰ: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾**[5] وقال: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾**[6].

---

(١) المائدة: آية ٣٥.

(٢) التوبة: آية ٣٨.

(٣) التوبة: آية ٤١.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٤٥ كتاب الجهاد رقم الحديث ١٠٧٣.

(٥) النساء: آية ٤٨.

(٦) النساء: آية ٣٦.

وقال مبيناً أثر الشرك في الإيمان والعمل: **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾**[1] ثم يبين تعالىٰ أن من يشرك بالله تعالىٰ في الأمر وفي الخلق فإنما يكون ذلك ناشئاً عنده من عدم ثقته بقوة الله تعالىٰ وبعلمه وحكمته وخبرته فقال تعالىٰ: **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾**[2].

ومن هنا كانت علاقة الإنسان بالله تعالىٰ علاقة توحيد لله تعالىٰ في ألوهيته كما هي علاقة توحيد لله تعالىٰ في ربوبيته.

فبهذه الأحكام الاعتقادية والأحكام التشريعة يوجد الجسد الإسلامي الواحد الذي يضرب الله تعالىٰ به الباطل فيزهقه ويلاحقه في مختلف بقاع الأرض وينتصر عليه **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**[3] **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**[4] ومن هنا يسعى أهل الباطل إلى إشغال أهل الحق بأنفسهم لينجو الباطل من ضربات الحق وذلك عبر الشرك الذي يوحي به الشيطان وعملاؤه من الإنس إلى المؤمنين لإبطال مفعول الدين الحق في الأرض. ولكن التوحيد الصحيح والعمل الصادق يحول دون تمكنهم من ذلك، والله غالب على أمره.

---

(١) الزمر: آية ٦٥.
(٢) الزمر: آية ٦٧.
(٣) الأنبياء: آية ١٨.
(٤) الإسراء: آية ٨١.

الفصل الثالث

توحيد الأسماء والصفات

والمقصود بتوحيد الصفات تفريد الله تعالىٰ بها بحيث لا يثبت نظيرها على الوجه التي هي عليه لغير الله تعالىٰ، لأن الله تعالىٰ لا مثيل ولا نظير ولا شبيه له فما ثبت له من الصفات فإنه يكون ثابتاً على نحو يليق بكمال الله تعالىٰ وجلاله.

وقد ورد في القرآن الكريم وصف الله تعالىٰ بصفات كثيرة منها: قوله تعالىٰ: **﴿هو الله الذي لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمٰن الرحيم هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المُهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق الباري المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾**(١) وهي في جملتها تسعة وتسعون اسماً(٢).

وسنعالج موضوع هذا الفصل في المباحث التالية:

---

(١) الحشر: آية ٢٤.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: (إنّ لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة) انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ ص ٢٥٣ **كتاب الدعاء، باب في أسماء الله عز وجل، رقم الحديث ١٨٦٤.**

المبحث الأول

الغاية من وجود الصفات في القرآن، أمران

الأمر الأول: المقصود من إيراد هذه الصفات المباركة لله تعالىٰ في القرآن هو تمكين المؤمن من استحضار عظمة الله تعالىٰ في قلبه ليحمله ذلك على الاستقامة لتوفر عنصر المراقبة لله تعالىٰ فيه عندئذ فيحمله ذلك على الإحسان في عمله أي على الإخلاص فيه كما قال ﷺ في جوابه لجبريل حين سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1] فلها إذن دور بالغ الأهمية في حياة المسلم الفردية والجماعية السرية والعلنية إذا بقيت على الوجه الذي وردت به النصوص دون الانحراف بها إلى مقتضيات العقل البشري القاصر والمحدود الذي يسارع أصحابه إلى نفيها بطريق غير مباشر وذلك بتأويلها وصرفها إلى معاني أخرى بحجة الفرار من التجسيم فيقع من يفعل ذلك في التعطيل وهو معنى يفسد معه رونقها وتذهب به تأثيراتها في النفس البشرية.

الأمر الثاني: كشف ما في نفوس المدسوسين على الأمة من غايات مشبوهة تهدف إلى إفساد دور هذه الصفات في حياة المسلم، وذلك عن طريق جعلها ميدان البحث والنظر مع أنها من الغيبيات التي لا يستطيع البشر أن يحيطوا بها علماً، لأن الصفات فرع عن الذات الإلهية، والذات الإلهية غيب فصفاتها غيب أيضاً، والواجب على المسلم الصادق في

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبو داود، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ١١ باب تعريف الإيمان والإسلام رقم الحديث ٣٦ بألفاظ متقاربة.

الانتساب إلى دين الله تعالىٰ أن يستسلم لها ولا يخوض في البحث عن كيفيتها، لأن ذلك سوف يؤدي به إلى أحد أمرين: إما إلى التجسيم وإما إلى التعطيل، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، لأنه باطل قطعاً.

وقد بين الله تعالىٰ موقف أهل العلم بالله تعالىٰ الصادقين في انتمائهم إلى دينه ودور المندسين على العلم وأهله فقال تعالىٰ: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلاّ أولوا الألباب. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾**(١).

---

(١) آل عمران: آية ٩.

المبحث الثاني
القاعدة في الصفات

وقد وضع الله تعالىٰ للمؤمنين قاعدة ذات أهمية بالغة في كيفية التعامل مع هذه الصفات حتى لا تضل بهم الأفهام وتتخطفهم من خلال ذلك شياطين الإنس والجان فيدخل عليهم منها فساد كبير في الاعتقاد وفي السلوك بإيحاء من الشيطان وتمويه وتزوير، فأمر الله تعالىٰ بالإيمان بهذه الصفات لأنها ثابتة له تعالىٰ ونهى عن تشبيهها بصفات أحد من خلقه فقال تعالىٰ: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**(١) فنفى أولاً وقبل كل شيء مشابهة الله تعالىٰ لخلقه حتى لا يتطرق إلىٰ الذهن أي معنى من معاني التشبيه والتجسيم ثم أثبت على هذا الأساس وعلى تلك القاعدة صفة السمع والبصر لله تعالىٰ، فيكون لله تعالىٰ سمع لا كسمع الخلق ولله تعالىٰ بصر لا كبصر الخلق، وهكذا تتنزل جميع صفات الله تعالىٰ الذاتية والفعلية الواردة في كتابه والواردة في سنة رسوله ﷺ فكلما وردت صفة من تلك الصفات المباركة فالواجب أن تقرن إليها هذه القاعدة **﴿ليس كمثله شيء﴾**(٢) وبالتالي فلا خوف من إثبات الصفات لله تعالىٰ لأنه لا يؤدي إلى التجسيم، كما أنه لا حاجة إلى التعطيل لهذه الضفات خوف الوقوع في التجسيم، وبذلك يكون التجسيم انحراف عن الحق لأنه خارج عن مقتضى هذه القاعدة، كما يكون التعطيل أيضاً انحرافاً عن الحق لأنه

---

(١) الشورى: آية ١١.
(٢) نفس المصدر.

خارج عن مقتضى هذه القاعدة لما فيه من تفريغ لآيات الصفات من معانيها، الأمر الذي يؤدي إلى وصفها بالعبثية وتعالىٰ الله تعالىٰ عن العبث في القول أو في الخلق والفعل ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالىٰ الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم**﴾[1] ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾[2].

فالقاعدة أننا نثبت لله تعالىٰ جميع ما أثبت لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ في سنته إثباتاً بلا تجسيم وننزه الله تعالىٰ عما نزه عنه نفسه ونزهه عنه رسوله ﷺ تنزيهاً بلا تعطيل.

---

(١) المؤمنون: آية ١١٥.
(٢) آل عمران: آية ١٩١.

المبحث الثالث

آيات الصفات من المتشابهات[1]

فالمؤمن بالله تعالىٰ وبرسوله ﷺ يقف عند ما حدّه الله تعالىٰ له ولا يتجاوزه ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾[2] وقد أخبر تعالىٰ في هذه

(١) وممن نص على أنها من المتشابهات:
أولاً: السيوطي، فقد قال في كتابه الإتقان جـ ٢ ص ٤ (فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله، وأنّ الخوض فيه مذموم) اهـ.
ثانياً: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني فقد قال في كتابه (الرسالة النظامية) ص ٣٢ (الذي نرتضيه رأياً وندين الله تعالى به عقداً هو اتباع سلف الأمة فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام) اهـ.
ثالثاً: أبو عمرو بن الصلاح، فقد نقل عنه الكرمي في كتابه (أقاويل الثقات) حيث قال: (وعلى هذه الطريقة جرى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها) اهـ ص ٦٦.
رابعاً: ابن اللبّان، فقد ألف في ذلك كتاباً سماه (إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات).
خامساً: الإمام مرعي بن يوسف الكرمي، فقد ألف في ذلك كتاباً سماه (أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات) قال في ص ٦٧ منه: (اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أنّ من المتشابه صفات الله تعالى) اهـ.
سادساً: الإمام أبو عبدالله بن قدامة المقدسي، فقد قال في كتابه (روضة الناظر وجنة المناظر) في أصول الفقه: (والصحيح أنّ المتشابه ما ورد من صفات الله سبحانه مما يجب الإيمان به ويحرم التعرض لتأويله...) الخ ص ٦٤ وص ٦٥.
(٢) الطلاق: آية ١.

الآياتِ الكريمة بأن في القرآن آيات محكمات أي واضحات في الدلالة على معناها، وهذه يجب الإيمان بها والعمل بمقتضاها، وفي القرآن آيات متشابهات أي لا يستطيع العقل البشري إدراك معانيها، والتشابه هنا مشتق من الاشتباه وهو اختلاط الأمر على الناظر حتى ينغلق عليه التمييز فيه فلا يدركه كما أخبر تعالىٰ عن قول بني إسرائيل حين أمرهم بأن يذبحوا بقرة **﴿إنّ البقر تشابه علينا﴾**[1] أي فلم يعرفوا أي بقرة هي المطلوب ذبحها.

وآيات الصفات مما لا يستطيع العقل البشري أن يدركه لأنها متعلقة بذات الله تعالىٰ، وذات الله تعالىٰ: غيب، فصفات الله تعالىٰ غيب تبعاً لذلك، والغيب لا يعلمه إلاّ الله تعالىٰ: **﴿هو الله الذي لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾**[2] **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾**[3] **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾**[4].

فمن خاض في صفات الله تعالىٰ لمعرفة معانيها وكيفياتها فإنه يكون خائضاً فيما لا يستطيع معرفته بحال من الأحوال ومكلفاً نفسه ما لا يطيق ومتعدياً لحدود الله تعالىٰ الذي أخبر أنه لا يعلم معاني هذه الصفات إلا الله تعالىٰ بقوله: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾**[5] أي وما يعلم تأويل المتشابه من الآيات في القرآن إلاّ الله تعالىٰ.

ولذلك كان موقف أهل العلم الصادقين هو التسليم لله تعالىٰ في هذه الصفات بالإيمان بها وعدم الخوض في كيفياتها فكان ذلك دليلاً على كمال علمهم وصحة إيمانهم.

وأما أهل الزيغ والضلال وأصحاب الفتن والفساد من أدعياء العلم

---

(١) البقرة: آية ٧٠.
(٢) الحشر: آية ٢٢.
(٣) الجن: آية ٢٨.
(٤) النمل: آية ٦٥.
(٥) آل عمران: آية ٧.

والمتظاهرين بالإسلام نفاقاً وزوراً وبهتاناً ليتمكنوا من خداع العامة من الناس بتعاطيهم بعض الشعائر الإسلامية الظاهرة فإنهم يعمدون إلى الخوض في هذه المتشابهات لينجرَّ الناس إلى الخوض فيها ويترتب على ذلك أن يختلفوا بشأنها لأنها من الغيبيات وبالتالي فسيخوضون فيها بعقولهم، وعقولهم متفاوتة فسيختلفون، ويترتب على اختلافهم فيها وهي متعلقة بذات الله تعالىٰ، والإيمان بالله تعالىٰ الركن الركين من أركان الإيمان أن يكفر بعضهم بعضاً، مما يؤدي إلى استباحة بعضهم دماء بعض وأموال بعض وأعراض بعض فتنتشر الفتنة في الأمة ويكون الفساد في الأرض وتنشغل الأمة عندئذ بنفسها عن عدوها «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(١).

ولهذا فقد فضح الله تعالىٰ ما في نفوس هؤلاء المدسوسين وأظهره من خلال الإشارة إلى أنهم يعمدون إلى الخوض في هذه الآيات المتشابهات فكانت هذه الآيات بحق فضّاحة لما في نفوسهم ووضّاحة لحقيقة أهدافهم **﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله﴾**(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب مرفوعاً، انظر جمع الفوائد ج ٢ ص ٧١٤ كتاب الفتن رقم الحديث ٩٨٠٢.

(٢) آل عمران: آية ٧.

المبحث الرابع

الموقف ممن يخوض في المتشابهات

ولما كان الخوض في الآيات المتشابهات ممنوعاً على الناس شرعاً، لأنها فوق إدراك عقولهم فإن من يخوض فيها يكون كالمستهزىء بها لأنه يرجم بالغيب والرجم بالغيب كفر بالله تعالىٰ وفي تصديقه ومتابعته كفر بالله أيضاً ولهذا قال ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد»[1] والاستهزاء بكتاب الله تعالىٰ كفر وقد قال تعالىٰ: **﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾**[2] وقد بين الله تعالىٰ حكم من يستهزىء بآيات الله وبرسوله فقال: **﴿يحذر المنافقون أنْ تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إنّ الله مخرج ما تحذرون، ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إنْ نعف عن طائفة نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾**[3] والمعفو عنهم منهم هم الذين فعلوا ذلك بغير علم ثم تابوا بعد ظلمهم لأنفسهم **﴿والله غفور رحيم﴾**[4]

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد عن عمران بن الحصين مرفوعاً، انظر الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٣ الترهيب من السحر وإتيان الكهان والعرافين. رقم الحديث ٤.

(٢) النساء: آية ١٤٠.

(٣) التوبة: آية ٦٦.

(٤) النساء: آية ٢٥.

والشرع قد بيّن الموقف المطلوب والناس متفاوتون في العمل به. وسنوضّحه في سبعة مطالب:

المطلب الأول

الموقف الشرعي

وقد بين ﷺ كيفية التعامل مع هؤلاء الخائضين في آيات المتشابه من القرآن بقوله ﷺ بعد قراءته لقوله تعالىٰ: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾(١) قال: فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله ﴿**فاحذروهم**﴾(٢) يعنى بذلك المنافقين، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإنْ يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم**﴾(٣). ثم أمر في رواية أخرى باجتناب مجالستهم حتى لا ينتقل مرض قلوبهم إلى من يجالسهم لأن مرض الشك يعدي القلوب كما يعدي مرض الطاعون الأبدان، فلا بدّ من ضرب الحَجْرِ الصحي عليهم لمنع انتقال مرضهم إلى غيرهم من الناس فقال ﷺ: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ولا تجالسوهم»(٤).

كما وصفهم في رواية ثالثة زيادة في فضح مكنون قلوبهم وخطير

---

(١) آل عمران: آية ٧.

(٢) المنافقون: آية ٤.

والحديث رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٣٢٥ كتاب التفسير باب تفسير سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ رقم الحديث ٢١٢٦ ورواه البخاري أيضاً ج ٦ ص ٤٢ كتاب التفسير في سورة آل عمران.

(٣) المنافقون: آية ٤.

(٤) رواه ابن جرير وغيره، انظر فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣١٨ عند تفسير هذه الآية.

دورهم بقوله: «أولئك الخوارج»[1] أي الذين خرجوا عن الحق والدين بتتبعهم للمتشابه الذي كشف عن زندقة قلوبهم وحقيقة نواياهم وهي أنهم يسعون إلى بث الفتنة في الأمة لإضعافها وتمكين أعداء الله تعالىٰ منها سعياً منهم لإزهاق الحق وإحلال الباطل محله.

المطلب الثاني

موقف الصحابة

وقد سار أصحابه رضي الله عنهم على هذا المنهج في حياته فلم يسألوا عن هذه المتشابهات ولم يخوضوا في كيفياتها لأنهم وقفوا على حدود الله تعالىٰ ولم يتجاوزوها، فلم ينقل قط عن أحد منهم أنه توقف أو تساءل عن صفات الله تعالىٰ لأنهم علموا أنه **﴿ليس كمثله شيء﴾**[2] **﴿هل تعلم له سمياً﴾**[3] **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾**[4] **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾**[5].

ولهذا فإنه حين دسّ اليهود رجلاً يدعى (ضبيع)[6] من البصرة إلى المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإثارة الكلام في آيات المتشابه من القرآن لبَثِّ الفتنة في الأمة وفي عاصمة الخلافة التي هي بمنزلة القلب من البدن ليضعفوا المسلمين ثم ينقضوا عليهم بعد أن فتح المسلمون بلاد الفرس والروم ودوّخوا كيان الكفر وأهله فإذا تمكنوا من

---

(١) رواه عبد بن حميد وعبد الرزاق وأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي. انظر فتح القدير للشوكاني جـ ١ ص ٣١٩.
(٢) الشورى: آية ١١.
(٣) مريم: آية ٦٥.
(٤) الإخلاص: آية ٤.
(٥) آل عمران: آية ٧.
(٦) بالضاد المعجمة تصغير ضَبُع، ويروى (صبيغ) بفتح الصاد المهملة بعدها ياء مكسورة على وزن (أمير) هو ابن شريك بن المنذر بن قطن بن عِسْل بكسر العين وتسكين السين المهملة. انظر القاموس المحيط.

إثارة البحث في المتشابهات فسيؤدي ذلك إلى نشوب الفتنة بين المؤمنين فيكفر بعضهم بعضاً ويترتب عليه أن يستبيح بعضهم دماء بعض وهو الأمر الذي حذرهم منه رسول الله ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض»(١) فجعل ضبيع هذا يسأل عن هذه الآيات المتشابهات ويخوض فيها في المجالس العامة والخاصة فتنبه له أصحاب رسول الله الذين عرفوا المنهج القرآني والعلاج النبوي لمن يخالفه فرفعوا الأمر إلى مرجع الأمة ورئيسها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأعدّ له ثلاثة عراجين وهي سُعُفُ النخل، وجمع أهل الحل والعقد والرأي من أصحاب رسول الله ﷺ واستدعى ضبيعاً هذا، فدخل عليه فقال له عمر: من الرجل؟ فقال: عبد الله ضبيع.

يريد أن يختبىء وراء اسم مُحَبَّبٍ لدى المسلمين لعله يتمكن من إخفاء حقيقة نواياه عن الخليفة. فقال له عمر وهو الذي «ما رآه الشيطان سالكاً فجاً إلا وسلك فجاً غيره» كما أخبره بذلك رسول الله ﷺ(٢) فلا تنطلي عليه تمويهات شياطين الجن ولا تمويهات شياطين الإنس قال له: «وأنا عبد الله عمر» ولكن شتان ما بين «عبد الله ضبيع» و «عبد الله عمر» فإن ضبيعاً يدّعي العبودية وهو كاذب فيها لأنه لم يخضع لأمر الله تعالىٰ له باجتناب الخوض في المتشابهات فهو صاحب زيغ وضلال وفتنة لكنه يختبىء وراء التسمية بعبد الله لخداع المؤمنين، وأما عمر بن الخطاب فإنه صادق في دعوى العبودية لله تعالىٰ لأنه ملتزم بما أمر الله تعالىٰ به من اجتناب الخوض في المتشابهات ولأنه يعمل على تطبيق حكم الله تعالىٰ في ضبيع الذي خاض فيها تأديباً له ومنعاً لفتنته عن الأمة ثم قال له عمر: «جئت تسأل عن المتشابهات وقد نهاك الله عنها»(٣) ثم أخذ عرجونا من

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب مرفوعاً. انظر جمع الفوائد ج ٢ ص ٧١٤ كتاب الفتن رقم الحديث ٩٨٠٢.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر المنذري ج ٢ ص ١٩٢ كتاب الفضائل، باب فضائل عمر بن الخطاب، رقم الحديث ١٦٣٣.

(٣) انظر فتح الباري ج ٨ ص ٢١١ حيث أشار إلى أن سبب معاقبة عمر له هو أنه بلغه أنه يتتبع المتشابه.

هذه العراجين وجعل يضربه على رأسه الذي هو محل الزيغ والتخطيط للفتنة الضربة تلو الضربة حتى دميّ رأسه وسال الدم على وجهه وخرجت الفتنة مع ذلك الدم من رأسه فقال ضبيع «كفى يا أمير المؤمنين قد والله ذهب عني الذي كنت أجد» فكف عنه عمر وأمر به فأعيد إلى حيث أتى من البصرة وأمر والي البصرة بأن يحبسه ويمنع الناس من الجلوس إليه والتحدث معه[1]، عملاً بأمر الله تعالىٰ فيمن يخوض في آيات الله تعالىٰ مستهزئاً بها وعملاً بإرشاد رسول الله ﷺ إلى كيفية التعامل مع هؤلاء أيضاً في قوله: «ولا تجالسوهم».

وقد كان ذلك بحضور جمع غفير من كبار أصحاب رسول الله ﷺ من ذوي الحجا والعقل والنظر والالتزام الشرعي.

المطلب الثالث

موقف التابعين

وعلى مثل ذلك كان التابعون أيضاً حتى إذا كان عهد الإمام مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله تعالىٰ دسّ اليهود رجلاً في حلقة الإمام مالك فسأله عن قوله تعالىٰ: **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾**[2] كيف استوى؟! فاستغرب مالك ذلك وعرف أن وراء هذا السؤال فتنة فمن سيكون مدبر هذه الفتنة ومديرها فأخذته الرَحْضاء أي تصبّب منه العرق وأطرق طويلاً ثم قال له: الاستواء معلوم أي في اللغة والكيف مجهول أي في الشرع لقوله تعالىٰ: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾**[3] والإيمان به واجب أي لوروده في القرآن: **﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند**

---

(١) روى هذه القصة الدارمي وابن عساكر ونصر المقدسي في الحجة عن سليمان بن يسار، انظر فتح القدير ج ١ ص ٣١٩. القرطبي ج ٤ ص ١٤ المسألة السادسة. وانظر جمع الفوائد ج ١ ص ٤٨ كتاب العلم، رقم الحديث ٢٨٢.

(٢) طه: آية ٥.

(٣) آل عمران: آية ٧.

ربنا﴾[1] والسؤال عنه بدعة لقوله تعالىٰ: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾[2] فالسؤال شيء طارىء على الأمة من خارجها ودخيل عليها من أعدائها، ثم قال له: «أراك صاحب بدعة»[3] ثم أمر الناس في المسجد أن يخرجوه عملاً بقوله تعالىٰ: ﴿**فلا تقعدوا معهم**﴾[4] وعملاً بقول رسول الله ﷺ «ولا تجالسوهم»[5] فقام إليه الناس يدفعونه من هنا وهناك حتى رموه خارج المسجد.

المطلب الرابع

موقف المتأخرين

وكان الناس على ذلك المنهج وذلك الموقف ممن يخوض في المتشابهات حتى دخلت المائة الثانية للهجرة فظهر الجهمية اتباع الجهم بن صفوان الذين نفوا الأسماء والصفات اعتماداً على حجج عقلية وعطلوها عن معانيها بتأويلات فلسفية، كما ظهر المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات بالتأويل، وتساهل الناس مع من يخوض في هذه القضية منهم وجادلوهم في ذلك ظناً منهم أن في جدالهم منعاً لهم من الانتشار في أوساط الأمة بأفكارهم فكان الجدل معهم بمثابة الماء للزرع فجعل هؤلاء يتكاثرون ويتوسّعون في عاصمة الخلافة العباسية بغداد التي انفتحت على الشعوب والأديان والأفكار وكانوا يختبئون وراء دعوى تنزيه الله تعالىٰ عن التجسيم مما خدع العوامّ عن حقيقة نياتهم التي حذرنا الله منها وأماط اللثام عنها بقوله: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ**

---

(١) آل عمران: آية ٧.

(٢) آل عمران: آية ٧.

(٣) رواه اللالكائي عن الإمام مالك، وهو مروي أيضاً عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أيضاً فيما رواه عنها ابن مردويه. انظر فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٢١٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ من سورة الأعراف: آية ٥٤.

(٤) النساء: آية ١٤٠.

(٥) رواه ابن جرير وغيره، انظر فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣١٨.

فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله﴾[1] فكثر أتباعهم وتسلقوا إلى حاشية الخلافة وأغرى كبراؤهم الخلفاء العباسيين في عهد المأمون والمعتصم والواثق وصدراً من خلافة المتوكل وتمكنوا من تسليط سوط الدولة وسيفها على المخالفين لهم من أهل السنة تحت غطاء تنزيه الله تعالىٰ عن التجسيم الذي يفضي إليه إثبات هذه الصفات فعطلوها عن معانيها بالتأويل الذي هو نوع نفي، فأدى ذلك إلى فرار الكثير من العلماء من بغداد بدينهم وعقيدتهم خوفاً من سيف السلطة التي انخدعت بمبادئهم وآرائهم والتي قربت المعتزلة في الأصل لمواجهة الزنادقة لما كانوا عليه من معرفة واهتمام بالعلوم العقلية كي يواجهوا الزنادقة بسلاحهم وباللغة التي يفهمونها بعد أن انتشروا في عاصمة الخلافة بسبب انفتاحها الواسع على أهل الأديان المختلفة والمذاهب المتنوعة، فاستغل المعتزلة ذلك التقريب وراحوا يزينون للخلفاء أراءهم العقائدية التي تهدف في الحقيقة إلى تعطيل صفات الله تعالىٰ تمهيداً لتعطيل ذات الله تعالىٰ عن الوجود بحجة تنزيه الله تعالىٰ عن التشبيه والتجسيم، وساير فريق آخر من العلماء هؤلاء المعتزلة في آرائهم عملاً بالرخصة في حال الضعف بينما واجه الفريق الثالث المعتزلة والدولة مما أدى إلى إراقة دماء بعضهم بالاعدام كمحمد بن نصر الخزاعي والإمام يوسف البويطي صاحب الشافعي الذي مات تحت التعذيب على أيدي المعتزلة في السجن وكالإمام أحمد بن حنبل الذي اعتقل وعذب حتى أشرف على الموت مرات عديدة. كما تم اغتيال بعض العلماء في شوارع بغداد وأغار المؤيدون من العامة للطرفين على أحياء بعضهم البعض فأحرقوا ودمروا وقتلوا وأفسدوا وكانت الفتنة بسبب ذلك الضلال الذي لا يعذر فيه أحد من الطرفين الطرف الآخر المخالف له لأنها قضية تتعلق بالعقيدة وبالركن الأول والركين منها وهو الإيمان بالله تعالىٰ[2].

حتى شاء الله تعالىٰ وتمكن بعض أهل السنة من الوصول إلى

---

(١) آل عمران: آية ٧.

(٢) انظر مجمل هذا الكلام في كتاب ضحى الإسلام ج **٣** ص **٢١** وما يليها.

الخليفة المتوكل وعرض عليه قول أهل السنة وخطر وخطأ ما عليه المعتزلة فانقلب عليهم المتوكل ولاحقهم وقضى على دولتهم وانكشف الغطاء عن حقيقتهم وظهر للناس جذور انتمائهم وأنهم ينتهون في علاقتهم إلى اليهود الذين وصفهم الله تعالىٰ بأنهم أشد أعداء الإسلام **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾**[1].

المطلب الخامس

رؤوس فتنة الانحراف عن الموقف الشرعي

بعد تسليط الأضواء على تلك الفتنة تبين أن سلسلتها[2] تبتدىء ببشر المريسي[3] وثمامة بن الأشرس[4]..............................

---

(١) المائدة: آية ٨٢.

(٢) أشار إلى هذه السلسلة ابن الأثير في الكامل جـ ٥ ص ٢٩٤ وابن كثير في البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥٠.

(٣) هو بشر بن غياث المريسي العدوي، فقيه معتزلي عارف بالفلسفة يرمى بالزندقة وهو رأس الطائفة (المريسية) القائلة بالإرجاء، وقال برأي الجهمية أوذي في عهد هارون الرشيد، كان جده مولى لزيد بن الخطاب، وكان أبوه يهودياً، وقد عاش بشر سبعين عاماً كان كبير الرأس والأذنين قصير القامة وسخ الثياب ذميم المنظر. وقد ألف الدارمي كتاباً في الرد عليه سماه (النقض على بشر المريسي). توفي سنة ٢١٨هـ انظر الأعلام جـ ٢ ص ٥٥ وكان الرشيد قد بلغه أنّ بشراً يقول بخلق القرآن فقال: والله إن أظفرني الله به لأقتلنه، فأقام بشر متوارياً أيام هارون الرشيد. وقد ظل يدعو إلى القول بخلق القرآن أربعين سنة ويؤلف في ذلك الكتب. انظر ضحى الإسلام جـ ٣ ص ١٦٢.

(٤) هو ثمامة بن الأشرس النميري أبو معن، المتوفى سنة ٢١٣هـ قال فيه الشهرستاني (كان جامعاً بين سخافة ـ رأي الاعتزال ـ وخلاعة النفس مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة وهو في حال حياته بمنزلة بين المنزلتين) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٠٥ وكان كثيراً ما يدفع المأمون إلى تبني آراء المعتزلة حيث كان حاشية للخليفة كما يقول أحمد أمين في ضحى الإسلام جـ ٣ ص ١٥٣ وكان له آراء في الاعتزال ينفرد بها حتى نسبت إليه فرقة من المعتزلة تسمى (الثمامية) حتى إن الأمة حكمت عليه بالكفر =

وأحمد بن أبي دؤاد[1] الذين أخذوا عن الجهم بن صفوان[2] الذي أخذ عن الجعد بن درهم[3] الذي أخذ عن أبان بن سمعان، الذي

= بسببها منها قوله (إن من لم يضطره الله تعالى إلى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة ولا منهياً عن الكفر وكان مخلوقاً للسخرة والاعتبارية فحسب كسائر الحيوانات التي ليست بمكلفة) ومن أقواله المستخفة بالدين لزندقته أنه رأى الناس يوم الجمعة يتعادون إلى المسجد لخوفهم فوات الصلاة، فقال لرفيق له: انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر، ثم قال: ماذا صنع ذلك العربي بالناس، يعني رسول الله ﷺ، وكان يغري الخلفاء بقتل أهل السنة من العلماء كما فعل بأحمد بن نصر المروزي وغيره. انظر الفرق بين الفرق ص ١٥٧ وما بعدها.

(١) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة. ورأس فتنة القول بخلق القرآن، انتقل به أبوه من قنسرين بالقرب من حلب إلى دمشق ثم رحل إلى العراق، كان فصيحاً ذو منطق وكلام، وكان على جانب عظيم من الذكاء والحنكة، تقرب من المأمون ثم المعتصم، فكان قاضي القضاة عنده ومستشاراً له، ثم أصيب بالفالج في خلافة المتوكل سنة ٢٣٣هـ الذي سخط عليه وأراد إنزال العقوبة به لولا مرضه، قال الذهبي فيه: كان جهمياً بغيضاً حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن، فنفر الناس منه ولولا ذلك لاجتمعت عليه الألسنة. اهـ توفي سنة ٢٤٠هـ انظر الأعلام جـ ١ ص ١٢٤ وقال فيه ابن كثير: إنه ضال مضلّ. اهـ البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٣٢٠.

(٢) هو الجهم بن صفوان السمرقندي، من موالي بني راسب، رأس الجهمية، قال فيه الذهبي: ضال مبتدع زرع شراً عظيماً. اهـ وقد كان الجهم مع الخارجين المتمردين على أمراء خراسان حتى تم إلقاء القبض عليه من والي خراسان الذي أمر بقتله، وكان ذلك سنة ١٢٨هـ. انظر الأعلام جـ ٢ ص ١٤١، وكان قتله على يد سالم بن أحوز والى مرو بخراسان كما قال ابن كثير في البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥٠.

(٣) كان الجعد موصوفاً بالزندقة كما يقول خير الدين الزركلي المؤرخ وقال الذهبي: عداده في التابعين مبتدع ضال. اهـ وقد أقام الجعد بدمشق وأظهر فيها القول بخلق القران فطلبه الخليفة هشام بن عبد الملك فهرب إلى الكوفة، فالتقى به هناك الجهم بن صفوان وأخذ عنه هذه المقالة، فظفر به والي الكوفة خالد بن عبدالله القسري وقتله يوم الأضحى سنة ١١٨هـ حيث خطب الناس وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله منكم فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم فإنه زعم أنّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً =

أخذ عن طالوت بن أخت لبيد(١)، الذي أخذ عن لبيد بن الأعظم اليهودي(٢) الذي سحر رسول الله ﷺ(٣)، وتنتهي هذه السلسلة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي(٤).

= كبيراً، ثم نزل عن المنبر وذبحه. قال ابن كثير: وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ، منهم: البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي وعبدالله بن أحمد وذكره ابن عساكر في التاريخ. اهـ انظر البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٥٠. الأعلام جـ ٢ ص ١٢٠.

(١) قال فيه ابن الأثير (وكان زنديقاً فأفشى الزندقة) الكامل جـ ٥ ص ٢٩٤ في حوادث سنة أربعين ومائتين، وقد أشار ابن الأثير أيضاً إلى أن طالوت هو أول من صنف كتباً في خلق القرآن.

(٢) قال ابن الأثير: (وكان لبيد يقول بخلق التوراة). انظر الكامل جـ ٥ ص ٢٩٤.

(٣) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ١٤٠ كتاب الرقى، باب في السحر، وسحر اليهود للنبي ﷺ، رقم الحديث ١٤٤٥.

(٤) وكان ابن سبأ الذي توفي سنة ٤٠هـ من صنعاء قد أظهر الإسلام في عهد عثمان بن عفان وحاول أن يفسد على المسلمين دينهم عن طريق دس عقائد ضارة فيهم طاف بها في بلاد الحجاز والبصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها كما يقول أحمد أمين في فجر الإسلام ص ١١٠، ومن هذه الأفكار التي طرحها: القول بألوهية علي بن أبي طالب وأنه ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية وأنّ الذي قتل هو الجانب الناسوتي وأما الجانب اللاهوتي فلا يصل إليه أحد وأنه ارتفع من بين الناس إلى السماء فالرعد صوته والبرق تبسمه وسوطه، وأنه سينزل ثانية إلى الأرض وسوف يملؤها عدلاً بعد أن ملئت جوراً، وأنه قال لعلي يوماً: أنت أنت، يعني أنت الإله فنفاه علي رضي الله عنه إلى المدائن بالعراق، وكان يقول إن علياً وصيّ محمد ﷺ كما أن يوشع بن نون كان وصيّ موسى، وهو أول من قال بأن محمداً ﷺ قد أسند الخلافة بعده إلى علي بن أبي طالب نصاً. انظر الملل والنحل جـ ٢ ص ١١٦. وكان من أكبر الدعاة إلى خلع عثمان عن الخلافة لتصير إلى علي بن أبي طالب بحجة أنه هو الوصي بعد النبي حتى تجرأ الناس على عثمان ووصفوه بالظلم لما ذكرنا ولأنه وقعت منه أخطاء جعل ابن سبأ وأعوانه يضخمونها ويهولون من شأنها بين الناس حتى تعبأت القلوب ضد عثمان، ثم جعل ابن سبأ يضلل الناس في شأن علي بن أبي طالب. انظر الكامل جـ ٣ ص ٧٧. قال ابن حجر في لسان الميزان جـ ٣ ص ٢٨٩ في ابن سبأ: (من غلاة الزنادقة أحسب أن علياً حرقه بالنار). انظر الأعلام جـ ٤ ص ٨٨.

وجميع رجال هذه السلسلة كانوا يهوداً أو زنادقة أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر به والكيد له، متخذين من التظاهر بالانتماء إليه غطاء لنواياهم ولتحركاتهم في الأمة الإسلامية.

المطلب السادس

نتيجة الإنحراف عن الموقف الشرعي

وقدكان من نتيجة انحراف الناس عن الموقف الشرعي أن تمكن رؤوس الفتنة من الخوض في الآيات المتشابهات بحجة تنزيه الله تعالىٰ عن الشبيه والمثيل مما أدى إلى ضرب الأمة بعضها ببعض حيث كفّر بعضها بعضاً، وقتل بعضها بعضاً، فأضعفهم ذلك وأغرى هذا الضعف بهم أعداء الأمة من المغول والتتار بعد ذلك، فشنوا هجومهم الواسع والكاسح على الدولة العباسية حتى وصلوا إلى بغداد التي هي عاصمة الأمة وقلب جسدها، فدمروا بغداد وأحرقوا البيوت والأشجار ودكوا معالم الحضارة والدّيار، وقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى زاد عدد من قتلوه منهم فيها على مليون مسلم[1] ، بالإضافة إلى الانتهاك للأعراض وتدمير الحركة العلمية والثقافية بإحراق الكتب وإغراقها في نهر دجلة، وسقطت بذلك دولة الخلافة العباسية حيث قتلوا الخليفة فيها[2] .

كل ذلك قد أصاب الأمة نتيجة الاختلاف والنزاع حول هذه القضية الخطيرة التي يترتب على الخلاف فيها تكفير المختلفين بعضهم بعضاً، ثم استحلال الدماء والأموال والأعراض، وقد نهى الله تعالىٰ عن النزاع وحذر

---

(١) هذا على تقدير ابن السبكي، بينما يقدرها ابن كثير بمليون وثمانمائة ألف نفس كما يقدرها آخرون بمليوني إنسان إضافة إلى من مات غرقاً في نهر دجلة أثناء الهرب من بغداد عند دخول التتار إليها. انظر البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٢.

(٢) وهو المستعصم بالله أبو أحمد آخر خلفاء بني العباس وكان مقتله على يد التتار سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة النبوية وقد كان حسن المعتقد والديانة محباً للعلم وأهله عادلاً في رعيته، حسن الصورة جيد السريرة رحمه الله تعالى، انظر البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٤.

منه لما يؤدي إليه من إضعاف الأمة وإغراء عدوها بها **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**(١) أي قوتكم، والخلاف في هذه القضية ليس كالخلاف في المسائل الفروعية الفقهية لأنه يترتب عليها تكفير ثم استحلال دم المخالف أو ماله أو عرضه، وإن كان ذلك يفتح مجالاً لأعداء الأمة ليدسوا في أوساط المختلفين من يوسع دائرة الخلاف ويعمقها لتكون المواجهة الفكرية أولاً ثم المواجهة العسكرية بعد ذلك لإضعاف الجميع ثم الانتقام من هذه الأمة على أيدي أعدائها، وقد حصل أن تصادم الشافعية مع الحنابلة في بغداد واستبيحت مع ذلك الصدام الأموال والدماء ولم تنته المواجهة بين الطرفين إلا بعد إنزال جيش الخلافة العباسية وكان ذلك في القرن الرابع الهجري.

فالقضية التي يترتب على الاختلاف فيها تكفير المخالفين أسرع في إشعال الفتنة في الأمة من التي لا يترتب عليها ذلك وهي أشبه ما تكون بالمواد سريعة الاشتعال كالبنزين، والمواد بطيئة الاشتعال كالكازولين يرمي به العدو داخل الصف الإسلامي.

المطلب السابع

التحذير من تجديد الفتنة

ونحن اليوم نعيش في ظل صَحْوَة إسلامية متنامية دخلت كل بيت وكل مدرسة وكل مؤسسة وكل دولة وإن تفاوتت في ذلك إلا أنها تتسع يوماً بعد يوم لتعيد للإسلام دوره في هذه الحياة، مما حمل أعداء الإسلام على المسارعة إلى قمعها وتحجيمها ومحاصرتها تمهيداً لتدميرها خوفاً على مصالحهم ومكاسبهم غير المشروعة أنْ توضع على ميزان الحق فيحاسبون عليها ثم يعاقبون على ممارساتهم العقائدية والسلوكية والأخلاقية، ولكن المجابهة وجهاً لوجه قد تثير تعاطف المسلمين معها في الداخل والخارج فتزداد قوة وصلابة وسرعة انتشار فكان لا بد من

---

(١) الأنفال: آية ٤٦.

مواجهتها بطريقة غير مباشرة، وذلك عبر دس عملاء لهم في الأمة يلبسون لبوس الإسلام ويتعاطون بعض الشعائر الدينية لذرّ الرماد في العيون ومنع الرؤية الصحيحة لحقيقة هؤلاء المدسوسين الذين يقومون بإثارة قضايا عقائدية وأخرى تشريعية وثالثة أخلاقية هي محل خلاف بين المسلمين في الماضي وكان للاختلاف عليها أثر كبير في نشوب النزاع الذي جرّ إلى صراع عسكري بينهم نشأ عنه تيارات عقائدية وتيارات فقهية متناحرة حتى أشغلوا الأمة بنفسها في الصراعات الداخلية التي أمرضتها وكان من أثر ذلك ما ذكرنا من الخراب والدمار.

ومن هنا فإن أصابع الاتهام تتوجه على كل فرد أو جماعة أو جمعية أو حزب أو تنظيم يعمد إلى إثارة تلك القضايا العقائدية التي كان لها دور كبير في تفكيك الأمة في الماضي بأنه عميل لأعداء الأمة مدسوس فيها لتحقيق مصالحهم على حساب أمن الأمة وإيمانها وسلامة الأمة وإسلامها. ولن ينفعه بعد ذلك أن يقسم ألف يمين ويمين على براءته من تلك التهمة.

ونحن نعيش حالة حرب مع إسرائيل لا تنتهي بمحادثات سلام مهما سعى إليها الساعون، وإنما تنتهي بمعركة شاملة تستأصل فيها إسرائيل من جذورها حتى إنّ الحجر والشجر ليعين على ذلك بأمر الله تعالىٰ كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم فيختبىء الهيودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله فيقتله»[1].

فالحرب القادمة في يوم من الأيام ستكون هي حرب المسلمين ضد اليهود وكما لا يشك المسلمون في أنها ستكون لأن النبي ﷺ قد أخبر

(١) رواه مسلم، ولفظه: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٢٩٣ كتاب الفتن، باب في قتال المسلمين اليهود. رقم الحديث ٢٠٢٥.

عن ذلك، كذلك فإن اليهود لا يشكون في ذلك أيضاً لأنهم يعلمون في قرارة أنفسهم صدق محمد ﷺ في نبوته، كما قال تعالىٰ: **﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾**(١) وبالتالي فإنهم قد عمدوا إلى اتخاذ عملاء لهم داخل المجتمع الإسلامي يقومون بالتخذيل عن إسرائيل عبر إثارة الخلاف العقائدي حول تلك القضايا التي أثارتها المعتزلة في العهد العباسي لفتح المجال من جديد ليكفر المسلمون بعضهم بعضاً ثم يقتل بعضهم بعضاً حتى إذا ما ضعف الجميع تمكنت إسرائيل من فرض هيمنتها على الأمة في الحاضر كما فعل المغول والتتار في الماضي.

وحتى يتلافى المسلمون خطر الوقوع في هذه الخطة اليهودية لا بد لهم من الالتفاف حول مرجعية واحدة يلتف حولها مجلس للشورى ينبثق عنه لجنتان إحداهما عقائدية مهمتها البحث في القضايا العقائدية المختلف فيها بين المسلمين وعرضها على الكتاب والسنة فما كان موافقاً لهما فهو الحق وما لا فهو الباطل ثم تأخذ المرجعية قرارها في ذلك ويجب على جميع المسلمين الالتزام به، ومن خرج عنه بعد ذلك فإنه يكون قد انكشف للأمة بأنه مدسوس عليها لصالح أعدائها، واللجنة الثانية تشريعية مهمتها البحث في القضايا المختلف فيها بين المسلمين وعرضها على الكتاب والسنة فما كان منها موافقاً لهما فهو الحق وما لا فهو الباطل مع مراعاة أن هناك مسائل يجوز الخلاف فيها بين المسلمين ومسائل لا يجوز الخلاف فيها، وبالتالي فما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين يجب أن يمنع المخالفون من بث فكرتهم في الأمة لمنع استغلال هذا الخلاف من أعداء الأمة، وما يجوز الخلاف فيه يجب أن يمنع الصراع عليه حتى لا يستغل هذا الخلاف لصالح أعداء الأمة أيضاً، ويكون قرار المرجعية هو محور معرفة ما يجوز الخلاف فيه مما لا يجوز.

وبذلك نغلق الأبواب على أعداء الأمة أن يدسوا عليها عملاء هم كما نمنع الصراع الداخلي في الأمة باسم الدين عقيدة وشريعة فيقوي الصف الإسلامي وتستعصي الصحوة الإسلامية على الإجهاض أو التطويق

---

(١) البقرة: آية ١٤٦.

والتحجيم بإذن الله تعالى إذا صدقت النوايا وبذلت التضحيات **﴿إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**[1] **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إنْ كنتم مؤمنين﴾**[2] **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور﴾**[3].

ومن هنا فإن توحيد الأسماء والصفات على القاعدة الشرعية والموقف الشرعي يكون طريقاً لتوحيد الأمة، والخروج عليها يكون سبباً في تمزيقها.

---

(١) النحل: آية ١٢٨.
(٢) آل عمران: آية ١٣٩.
(٣) الحج: آية ٣٨.

القسم الثاني

الشرك: خطره وأنواعه

ويشتمل على بابين:

الباب الأول: خطر الشرك

الباب الثاني: أنواع الشرك

الباب الأول

خطر الشرك

الشرك مصدر مشتق من الفعل أشرك يشرك إشراكاً فهو مشرك وشريك ومنه الشركة، وهي انضمام قدرات أكثر من شخص للقيام بعمل معين، فهو دليل ضعف ونقص في كل، إذ لو كان لديه من القوة المادية أو المعنوية ما يستقلّ به عن غيره لما انضم إليه.

ولما كان الله تعالىٰ ذو الكمال المطلق في كل شيء لم يعد بحاجة إلى شريك لا في الخَلْق والإيجاد ولا في الأمر والنهي **﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾**(١) **﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾**(٢) وفي الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)(٣).

والشرك أخطر الكبائر وأعظم المحرمات **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أنْ لا تشركوا به شيئاً﴾**(٤) **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما**

---

(١) الزمر: آية ٦٢.

(٢) المائدة: آية ٥٠.

(٣) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم ج ٢ ص ٣١٥ كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله سبحانه، رقم الحديث ٢٠٨٩ ورواه ابن ماجه ولفظه: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) ورواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في سننه، ورواة ابن ماجه ثقات كما قال المنذري في الترغيب والترهيب ج ١ ص ٦٩ باب الترهيب من الرياء رقم الحديث ٢٣.

(٤) الأنعام: آية ١٥١.

ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأنْ تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾[1] وفي الحديث: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا بلى يا رسول الله، قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين وشهادة الزور)[2].

ولما كان للشرك خطره على الفرد وعلى المجتمع وعلى البيئة فقد جعلنا الكلام في هذا الباب في ثلاثة فصول:

---

(١) الأعراف: آية ٣٣.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ١ ص ١٨ كتاب الإيمان، باب أكبر الكبائر الشرك بالله، رقم الحديث ٤٦.

الفصل الأول
خطر الشرك على الفرد

إن الشرك بالله تعالىٰ يؤدي إلى فساد الإيمان الذي يؤدي إلى فساد العمل، وبالتالي فمهما كان العمل صالحاً فإن الشرك يفسده، كما يفسد السم الطعام، قال تعالىٰ: **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾**[١] **﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾**[٢] **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾**[٣].

كما أن الشرك يفسد على صاحبه الاطمئنان القلبي **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** فالشرك يفسده، ويفسد عليه الأمن النفسي أيضاً فتتحول حياة صاحبه إلى شقاء ونكد وإن كان في رغد من العيش المادي وسعة من الرزق فيه كما قال تعالىٰ: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾**[٤].

---

(١) الزمر: آية ٦٥.
(٢) الأنعام: آية ٨٨.
(٣) لقمان: آية ١٣.
(٤) طه: آية ١٢٤.

وبالتالي فإن من يقع في الشرك تحرم عليه الجنة ويصير إلى النار **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾**[١]، وفي الحديث «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[٢].

---

(١) المائدة: آية ٧٢.

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر المنذري ج ١ ص ٢٠ كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. رقم الحديث ٥٢ ولفظه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان، فقال: . . . إلخ.

الفصل الثاني
خطر الشرك على المجتمع

لما كان الإنسان اجتماعياً بطبعه فلا بدّ له من الاشتراك مع الناس في تحقيق المصالح المتبادلة ولا بدّ له من الاختلاط بهم في كل أحواله مما يترتب عليه انتشار الأفكار والآراء وتلاقحها فإن ذلك يجعل قضية الاحتكاك الفكري بسبب الاختلاف في المناهج ومصادرها متوفراً ومتفاعلاً وكلما كان الاختلاف في المناهج أكثر عمقاً كلما كانت المواجهة أكثر عنفاً حتى تصل إلى حدّ القتل والقتال واستباحة الدماء والأعراض والأموال.

فإذا كان مصدر الأوامر في المجتمع واحداً وهو الله تعالىٰ بحيث يطرح كل أمر يتعارض مع أمر الله تعالىٰ فإن ذلك يقود المجتمع إلى التلاحم والانسجام لأن الخلاف فيما عدا القضايا العقائدية لا يجرّ إلى التنافر والتنازع في العادة وإذا كان مصدر الأوامر في المجتمع متعدداً وكان لها من العمق في نفوس الناس ما يحملهم على التسليم لها والمتابعة والتضحية في سبيلها فإن ذلك سوف يجرّ إلى النزاع الفكري ثم الصراع العقائدي الذي ينتهي بهم إلى الصراع العسكري مع ما يخلفه ذلك من الفساد والدمار في المجتمع.

ولهذا فإن الله تعالىٰ أوجب تفريده في الطاعة وحرم الشرك به ليحفظ المجتمع البشري من الدخول في مواجهات وصراعات تحقق هدف الشيطان في هذه الحياة وهو ما أشار إليه القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿**إنما**

يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء﴾[1] ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾[2] ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾[3].

---

(١) المائدة: آية ٤.
(٢) البقرة: آية ٢٦٨.
(٣) النور: آية ٢١.

الفصل الثالث

خطر الشرك على البيئة

وأما خطر الشرك على البيئة والكون فمن جهة ما يتركه ذلك من أثر فيه لما بين الكون والأحياء من علاقة وثيقة، كما قال تعالىٰ عن ترديد صخور الجبال والطيور بالتسبيح مع داود عليه السلام **﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾**(١) وكما أخبر عن أن السماء لم ترأف بحال فرعون وقومه حين نالهم عذاب الله تعالىٰ، لأنهم كانوا كافرين مجرمين **﴿فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين﴾**(٢) وكما أخبر ﷺ أنّ المؤمن إذا مات بكى عليه موضعان: موضع سجوده وموضع عروج عمله إلى السماء(٣)، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: إني لأعلم حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث(٤) وحين بني لرسول الله ﷺ منبر وخطب عليه وكان قبله يخطب إلى جذع نخلة فأصبح بعيداً عنه خار

---

(١) الأنبياء: آية ٧٩.

(٢) الدخان: آية ٢٩.

(٣) هو موقوف على علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما كما ذكر ذلك عنهما القرطبي عند تفسير هذه الآية المذكورة. انظر تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٤٠ وأورد الشوكاني حديثاً مرفوعاً بمعنى ذلك رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وأبو حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والخطيب. انظر فتح القدير ج ٤ ص ٤٧٧ عند تفسير هذه الآية.

(٤) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ١٦١ كتاب الفضائل، باب تسليم الحجر على النبي ﷺ رقم الحديث ١٥٢٨.

الجذع وله حنين كحنين ولد الناقة ولم ينقطع حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر وجاءه فوضع يده عليه فسكن[١]، وكما سمع الصحابة تسبيح الطعام في الصحفة وهم يأكلون مع النبي ﷺ[٢]، وكذا تسبيح الحصى بين يدي النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان[٣].

كل ذلك يدل على أن ثمة علاقة وثيقة بين سلوك الإنسان وبين الكون، فإذا صح سلوك الإنسان انسجم مع الكون وانسجم الكون معه لاشتراك الجميع حينئذ في الخضوع لله تعالىٰ وحده، فتعطى الأرض من خيرها للمجتمع عندئذ كما قال تعالىٰ: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**[٤] وكما حكى الله تعالىٰ عن نوح عليه السلام في قوله لقومه **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾**[٥] وفي الحديث بينا رجل يمشي بفلاة إذ سمع صوتاً في سحابة يقول: اسق حديقة فلان، فتتبع الرجل السحابة فوجدها تمطر في حديقة الرجل فسأله عما فعله حتى استحق أنْ يخصه الله تعالىٰ بتلك النعمة فقال: إني إذا جذذت ثمار الحديقة جعلته ثلاثة أقسام: قسم أتصدق

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه، وقال فيه ابن كثير إنه على شرط مسلم، ورواه البخاري بلفظ: فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكّن، ثم قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها يعني تلك النخلة. قال ابن كثير: وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان. اهـ انظر البداية والنهاية جـ ٦ ص ١٢٥.

(٢) رواه البخاري والترمذي وقال: حسن صحيح، انظر البداية والنهاية جـ ٦ ص ٩٨.

(٣) رواه البيهقي وابن عساكر وأبو نعيم في دلائل النبوة، انظر البداية والنهاية جـ ٦ ص ١٣٢.

(٤) الأعراف: آية ٩٦.

(٥) نوح: آية ١٠.

به على الفقراء والمساكين وقسم لي ولعيالي وقسم أرده على الحديقة لإصلاحها[1].

فإذا عصى المجتمع وكفر أو أشرك بالله تعالىٰ زالت عنه تلك النعم لأنه لم يعد منسجماً مع الكون، كما قال تعالىٰ **﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون﴾**[2] **﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾**[3].

دفع شبهة:

وما قد نراه من سعة الرزق للكافرين والملحدين بعد ذلك فإنه من باب الاستدراج من الله تعالىٰ لهم كما قال تعالىٰ: **﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمٰن مداً﴾**[4] وفي الحديث: «إذا رأيتم الله تعالىٰ يعطي العباد ما يشاءون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم[5]، ثم تلا قوله تعالىٰ: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾**[6].

---

(١) رواه مسلم بنحوه، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ ص ١٤٦ كتاب الزكاة، باب الصدقة في المساكين. رقم الحديث ٥٣٤.

(٢) النحل: آية ١١٢.

(٣) سبأ: آية ١٦.

(٤) مريم: آية ٧٥.

(٥) رواه أحمد عن عقبة بن عامر مرفوعاً ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً، وفي سند أحمد رشدين بن سعد وفيه ضعف، وفي سند ابن جرير وابن أبي حاتم عبدالله بن لهيعة وهو مختلف فيه، انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٣٢ عند تفسير الآية المذكورة بعده.

(٦) الأنعام: آية ٤٤.

ومن هنا فإن الزلازل والبراكين سوف تزداد بين يدي الساعة لكثرة الفساد والكفر والشرك في الناس حتى إذا ما انقطع ما بينهم وبين الله تعالىٰ وطغى الشر وعم الأرض غضب الله تعالىٰ عليهم ودمر الكون وأذاقهم ويلات هذا الدمار كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»[1] «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق»[2] وفي القرآن: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾**[3].

فيكون ذلك الاضطراب وذلك العذاب بين يدي الساعة بسبب عدم انسجام السلوك البشري في الخضوع لله تعالىٰ مع استسلام الكون له فينشأ عن ذلك التضارب فساد الكون وخرابه.

---

(١) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٢٩٥ كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله. رقم الحديث ٢٠٢٠.

(٢) نفس المصدر رقم الحديث ٢٠٢٢ عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٣) الحج: آية ٢.

الباب الثاني

أنواع الشرك

ورد في الشرع التفريق بين الشرك في الاعتبار والأثر وإن كان كله محرم في الشرع يستوجب العقوبة الربانية إذا مات عليه صاحبه ولم يتب منه، وإن كانت هذه العقوبة مختلفة ومتفاوتة، فالشرك الأكبر يوجب الخلود في النار ولا كذلك الأصغر، وسنتحدث عن كل واحد منهما في فصل مستقل:

الفصل الأول
الشرك الأكبر

ويسمى شركاً أكبر لأنه يخرج صاحبه من الملة وهو المقصود في قوله تعالىٰ: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[1] وهو على ثلاثة أقسام، وسنجعل كل قسم منها في مبحث خاص به:

---

(١) النساء: آية ٤٨.

المبحث الأول

الشرك في الربوبية

الشرك في الربوبية، يتعلق بذات الله تعالىٰ، وينقسم إلى نوعين: شرك سلبي وشرك إيجابي فهما مطلبان:

المطلب الأول

الشرك السلبي

والمقصود بالسلب الترك أو المنع أو النفي وله صورتان:

الصورة الأولى: السلب الكلي، وذلك بإنكار وجود الله تعالىٰ جملة وتفصيلاً أي بصورة مطلقة كشرك الشيوعية(١) التي تقول: لا إلٰه والحياة مادة، فهم لا يعترفون بوجود خالق لهذا الكون وضع له قوانينه ولا يؤمنون بموجد لهذا الإنسان وضع له شرائعه وأحكامه بحجة أنه لا يقع تحت الحواس البشرية، مع أن الحواس البشرية ناقصة ومحدودة وقابلة للخداع فلا يمكن

(١) لم تنته الشيوعية بانهيار الاتحاد السوفياتي لأنه كان أحد جناحي الشيوعية. والجناح الثاني هو الصين الشيوعية وهي أشد إلحاداً وكفراً من الاتحاد السوفياتي لأنه كان قد أدخل بعض التعديلات على الفكر الماركسي فوصفته الصين بالمرتد وكان العداء بينهما ولذلك فإن الصين شيوعية والاتحاد السوفياتي اشتراكي، والاشتراكية منزلة بين الشيوعية والرأسمالية، وسيكون للصين تأثير كبير على السياسة الدولية في المستقبل وربما انبعث منها ياجوج ومأجوج، والله تعالى أعلم.

الاعتماد عليها في إدراك الحقائق التي تقع في نطاق إدراكها فضلاً عن تلك التي لا تقع تحت إدراكها أصلاً.

الصورة الثانية: السلب الجزئي بإنكار أن يكون لهذه الذات صفات أصلاً كما هو حال الجهمية الذين نفوا أسماء الله تعالىٰ وصفاته بحجة الخوف من التجسيم كما ذكرنا ذلك عنهم مع أن الله تعالىٰ قد أثبت لنفسه أسماء وصفات في كتابه وأخبر عنها رسوله ﷺ في سنته، فمن نفى هذه الصفات عن الله تعالىٰ بعد ذلك فإنه يكون قد وقع في الشرك لتقديمه إيحاء الشيطان له بذلك على وحي الله تعالىٰ إليه بإثبات تلك الصفات.

وفي الحقيقة أن نفي الصفات أرادته الجهة الكامنة وراء زعماء الجهمية أن يكون سبيلاً إلى نفي الذات الإلهية لأنه لا يتصور في العقل وجود ذات ليس لها صفات لأن الشيء الذي لا صفة له إنما هو العدم، فصح أن القصد الحقيقي من نفي الصفات إنما هو نفي الذات فيكون المشركون وفجرة اليهود هم الذين يقفون وراء هذه المقولة وإن تابعهم فيها بعد ذلك المغفلون من ذوي العاطفة الدينية من المسلمين، والمتواطئون من المحسوبين على المسلمين ضد الأمة.

وقد قال سليمان بن حرب سمعت حماد بن زيد وقد ذكر الجهمية فقال: إنما يحاولون أن يقولوا: (ليس في السماء شيء)[١] وهذا هو عين الشرك. وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري قال: ناظرت جهمياً فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أنّ في السماء رباً[٢] اهـ.

وروى مثل ذلك عن عامر الضبعي[٣] وعبّاد بن العوّام الواسطي[٤] وهما

---

(١) نقله ابن تيمية عن البيهقي واللالكائي، انظر الرسالة التدمرية ص ١١٦.
(٢) الرسالة التدمرية ص ١١٧.
(٣) قال في الجهمية: (أشرُّ قولاً من اليهود والنصارى) نقله ابن تيمية عن ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية. انظر الرسالة التدمرية ص ١١٦.
(٤) قال: (كلمت بشراً المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السماء شيء) نفس المصدر ص ١١٧.

من شيوخ الإمام أحمد، وعن عبد الرحمٰن بن مهدي[1] وغيرهم كثير.

المطلب الثاني

الشرك الإيجابي

وذلك بإضافة ذات أخرى إلى الله تعالىٰ تشاركه في الخلق والإيجاد، كشرك المجوس الذين قالوا إنّ للكون إلهين اثنين أحدهما للخير والآخر للشر أو أحدهما للنور والآخر للظلام[2] كما أخبر الله تعالىٰ عنهم على جهة الرد والتبكيت لهم بقوله: **﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إلٰه واحد فأياي فارهبون﴾**[3].

---

(١) قال: (أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إن الله لم يكلم موسى ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء وإن الله ليس على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا) نفس المصدر.

(٢) الفصل في الملل والنحل جـ ١ ص ٢٨. الملل للشهرستاني جـ ٣ ٥١ بهامش الفصل لابن حزم.

(٣) النحل: آية ٥١.

المبحث الثاني

الشرك في الألوهية

أي في العبادة وهي تعني كما قلنا الطاعة المطلقة التي لا يصحبها تردد أو تشكك أو توقف حيث يكون الانقياد والطاعة فيها للمعبود في يسر وسهولة كالحال في سلوك الطريق الموطأ للمشاة بحيث يسيرون عليه بلا تعثر أو توقف ويطلق عليه: طريق معبّد، فإذا رافق العبادة توقف أو تردد في بعض الأحيان خرج صاحبها عن وصف العبودية إلى الكفر أو الفسق أو المعصية بحسب نوع المخالفة، وهذا الشرك هو الذي نشب الخلاف بسببه بين الأنبياء وأممهم. وينقسم الشرك في الألوهية إلى نوعين: سلبي وإيجابي.

المطلب الأول

الشرك السلبي، وله صورتان

الصورة الأولى: الشرك السلبي الكلي. وذلك بترك عبادة الله تعالىٰ أصلاً، وذلك كشرك الدهرية الذين لا يرون للإله علاقة في هذا الكون وبالتالي فلا عبادة ولا التزام لأن الدنيا ليست إلا حياة وموتاً حتى كان يقول بعض العرب في الجاهلية مستنكرين الدعوة إلى عبادة الله تعالىٰ ما الحياة إلاّ أرحام تدفع وأرض تبلع، كما أخبر الله تعالىٰ عن قولهم هذا في القرآن الكريم بقوله: **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾**[١] ومن هذا الشرك قول الشيوعيين: الدين أفيون الشعوب.

---

(١) الجاثية: آية ٢٤.

مع أنّ الإنسان لم يخلق في الأصل إلاّ لعبادة الله تعالىٰ بالمعنى العام للعبادة وهو الالتزام والطاعة بكل ما أمر الله تعالىٰ به والانتهاء عن كل ما نهى الله تعالىٰ عنه، والله عز وجل قد أنزل من الأحكام ما يشمل جميع جوانب الحياة البشرية، وبالتالي يجب أن يخضع الإنسان حياته كلها لله تعالىٰ ليكون عابداً فيحل ما أحل الله تعالىٰ ويحرم ما حرم الله فتستقيم حياته المادية والمعنوية كلها كما قال تعالىٰ: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**[1] وقال تعالىٰ مبيناً دور الإنسان في هذه الحياة **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[2] **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**[3] أي الموت.

الصورة الثانية: الشرك السلبي الجزئي، وذلك بإنكار بعض أنواع العبادات الشرعية وعدم الاعتراف بها كمن يعترف بالصلاة دون الزكاة أو بالصيام دون الحج أو غيره من العبادات والأحكام الشرعية في باب المعاملات المالية أو الأحوال الشخصية من نكاح وطلاق وميراث ونسب ونحو ذلك أو من الأحكام الجنائية من قصاص وحدود وديات وأروش جنايات ونحو ذلك، فإنه يكون بذلك مشركاً مرتداً يحل دمه وماله، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في مانعي الزكاة حيث قاتلهم واعتبرهم مرتدين عن الإسلام وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[4] فالإسلام دين ودولة، مصحف وسيف،، عبادة وقيادة، فيه صلاح الدنيا والآخرة.

وقد أوجب الله تعالىٰ على المؤمنين قبول جميع ما شرعه لهم من الأحكام دون تفريق بين شيء منها في الإيمان به، فقال تعالىٰ: **﴿يا أيها**

---

(١) الأنعام: آية ١٦٢.
(٢) الذاريات: رية ٥٦.
(٣) الحجر: آية ٩٩.
(٤) انظر البداية والنهاية ٦ ص ٣١١.

الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾[1] وحذر الذين يؤمنون ببعض أحكام الدين وشرائعه دون بعض واعتبر ذلك العمل فاسداً وفاعله من أهل النار فقال تعالىٰ: **﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾**[2] وفي الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[3] وفاقاً لقوله تعالىٰ: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[4].

المطلب الثاني

الشرك الإيجابي

وذلك بإضافة عبادة غير الله تعالىٰ مع الله عز وجل، كما كان يفعل مشركوا العرب، فإنهم كانوا يؤمنون بوجود الله تعالىٰ: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾**[5] **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾**[6] **﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾**[7] ولكنهم يشركون مع الله تعالىٰ غيره في العبادة والطاعة والمتابعة المطلقة تقرباً إلى الله تعالىٰ على حدّ زعمهم كما أخبر

---

(١) البقرة: آية ٢٠٨.

(٢) البقرة: آية ٨٥.

(٣) رواه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي في كتابه (الحجة على تارك المحجة) وقال فيه: حديث حسن صحيح. ورواه أبو نعيم في كتابه (الأربعين) وقد اشترط فيه الصحة. ورواه الطبراني وأبو بكر الأصبهاني، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، ولابن رجب تعقيب عليه. انظر جامع العلوم والحكم ج ٢ ص ٣٩٣.

(٤) النساء: آية ٦٥.

(٥) لقمان: آية ٢٥.

(٦) الزخرف: آية ٨٧.

(٧) العنكبوت: آية ٦٣.

تعالىٰ عنهم تبريرهم عبادة الأصنام بقوله: **﴿وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**[(١)].

وهذه الطاعة المطلقة لغير الله تعالىٰ مع الله تنقض طاعتهم لله عز وجل لأنه تعالىٰ لا يقبل الشركة لكونه هو الغني المطلق الذي لا يحتاج إلى شيء من خلقه، والخلق كلهم بحاجة إليه كما قال تعالىٰ في الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[(٢)] وفي رواية: «فهو للذي أشرك»[(٣)].

ولذلك فإن الواجب يقتضي طرح كل ما يعارض أمر الله تعالىٰ ونهيه من أي جهة صدر سواء صدر من الحاكم الأكبر وهو رئيس الدولة أو من الحاكم الأصغر وهو رئيس الأسرة وما بينهما من ذوي النفوذ والسلطة كما قال تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إنّ الله سميع عليم﴾**[(٤)] **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**[(٥)] ومخالفة ذلك مع الاختيار يوقع صاحبه في الشرك.

وعندما دخل عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ وسمعه يقرأ قوله تعالىٰ: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾**[(٦)] قال: والله يا رسول الله ما عبدناهم، فقال ﷺ: «ألم يُحلّوا لكم

---

(١) الزمر: آية ٣.

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٣١٥ كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم الحديث ٢٠٨٩ ورواه ابن ماجه ولفظه: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) ورواته ثقات كما قال المنذري. ورواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في سننه، (انظر الترغيب والترهيب ج ١ ص ٦٩ باب الترهيب من الرياء رقم الحديث ٢٣.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الحجرات: آية ١.

(٥) الأحزاب: آية ٣٦.

(٦) التوبة: آية ٣١.

الحرام فتحلوه قال بلى، قال: ألم يحرموا عليكم الحلال فتحرموه قال بلى، قال: فتلك عبادتهم»[1].

فمن صرف أي نوع من أنواع العبادة إلى غير الله تعالىٰ فقد أشرك بالله تعالىٰ، سواء كان المصروف له ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً صالحاً أو غير ذلك من عالم الجن أو الإنس أو الطير أو الحيوان أو النبات أو الجماد لما في ذلك من انتقاص حق الله تعالىٰ في العبادة المطلقة.

وللشرك الإيجابي صور ثلاث:

الصورة الأولى: شرك قلبي، أي يتعلق بعمل القلب، كالإرادة والمحبة والتوكل والطاعة ونحو ذلك، فيجب أن يريد العبد لنفسه ما أراده الله تعالىٰ له من الاعتقادات والأقوال والأعمال والتصرفات ليكون هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ فيعتقد حلّ ما أحل الله تعالىٰ وتحريم ما حرم الله تعالىٰ، ويعمل على تحقيق ذلك بجوارحه كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**[2].

فإذا اعتقد حلّ شيء مما حرمه الله تعالىٰ أو حرمة شيء مما أحلّه الله تعالىٰ فإنه يكون قد جعل إرادته مقدمة على إرادة الله تعالىٰ، وهذا شرك بالله يبطل به إيمان صاحبه إذا كان عالماً بالحكم الشرعي وأصرّ على ذلك.

وكذلك لو أنه أحب غير الله تعالىٰ كما يحب الله أو أكثر فإنه يكون قد أشرك بالله لقوله تعالىٰ: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً**

---

(١) رواه الترمذي بنحوه وقال: حديث حسن غريب. اهـ ورواه أحمد وابن جرير وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي. انظر تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٤٩٣ كتاب التفسير رقم الحديث ٥٠٩٣.

(٢) البقرة: آية ٢٨٦.

يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾[1] وفي الحديث: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأنْ يحب المرء لا يحبه إلاّ لله وأنْ يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[2].

ويترتب على صدق تقديمه محبة الله تعالىٰ على محبة غيره أنه يطيع الله تعالىٰ ويتابع أمره في حال القدرة والاختيار لقوله تعالىٰ: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾**[3] وكما قال الشاعر:

لو كان الحب منك صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لِمَنْ يحبّ مطيع

فمن قدم طاعة غير الله تعالىٰ على طاعة الله في حال القدرة والاختيار فقد أشرك بالله تعالىٰ حتى ولو كان المطاع الوالدين اللذين هما سبب وجود الابن فضلاً عمن عداهما كما قال تعالىٰ: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**[4] **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾**[5].

ومن حمله حبه لفلان من الناس أو لعلاّن حاكماً كان أو محكوماً على تقديم طاعته على طاعة الله تعالىٰ في حال الاختيار أوحمله حبه للمال أو للجاه أو للجنس على تقديمه على طاعة الله تعالىٰ فقد أشرك بالله تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم**

---

(١) البقرة: آية ١٦٥.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ ص ١٤ كتاب الإيمان، رقم الحديث ٢٢. قال المغربي: رواه الشيخان والترمذي والنسائي، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ١٧ في خصال الإيمان رقم الحديث ٦٤.

(٣) آل عمران: آية ٣١.

(٤) العنكبوت: آية ٨.

(٥) لقمان: آية ١٥.

وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1] وقال تعالىٰ في طاعة غيره في الحرام ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإنْ أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[2].

والتوكل على الله تعالىٰ وهو من عمل القلب له بُعْدان:

البعد الأول: توكّل الجوارح وذلك بالأخذ بالأسباب المادية كما فعل النبي ﷺ فإنه كان يحارب أعداءه ويعد لذلك العدة المناسبة فيشحذ السلاح ويلبس الدروع عملاً بقوله تعالىٰ: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**﴾[3].

والبعد الثاني: توكل القلب بأن يستسلم لله تعالىٰ ويرضى بالنتيجة بعد ذلك ويعتقد بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾[4] فلا يغني توكل القلب عن الأخذ بالأسباب كما لا يغنى الأخذ بالأسباب عن توكل القلب، ومن اعتقد بأن الأسباب تعمل بذاتها لا بتقدير الله تعالىٰ ذلك فيها فقد أشرك كما أن من اعتقد بأن الاستغناء عن الأسباب يحقق النتيجة فقد أشرك لأن الله تعالىٰ هو الذي أمر بالأخذ بها.

ويدخل في شرك القلب، كل اعتقاد مخالف لما أمر الله تعالىٰ به، أو لما نهى الله تعالىٰ عنه، إذا كان معتقد ذلك عالماً بالحكم الشرعي، ولكنه اعتقدحلّ مخالفته، فإنه يكون مشركاً بالله تعالىٰ، حتى ولو لم يصدر عنه فِعْلٌ من قول أو عمل مخالف للحكم الشرعي، لأن العبرة للاعتقاد أولاً، فإذا كان اعتقاده موافقاً للحكم الشرعي فهو مؤمن، فإن خالفه بفعله قولاً أو عملاً غير مستحل للمخالفة فهو عاص أو فاسق، وإذا كان اعتقاده

---

(١) التغابن: آية ١٦.
(٢) الأنعام: آية ١٢١.
(٣) الأنفال: آية ٦٠.
(٤) التوبة: آية ٥١.

مخالفاً للحكم الشرعي فهو كافر، سواء وافقه بفعله بعد ذلك قولاً أو عملاً أو لم يوافقه إذا كان مستحلاً للمخالفة مع علمه بالحكم الشرعي، ويسمى عندئذ مرتداً.

وعمدة هذا التفريق في اعتماد عمل القلب قول الله تعالىٰ: **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾**[(١)] وفي الحديث: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح، اللهم أنت عبدي وأنا ربك»[(٢)].

الصورة الثانية: شرك لساني: أي يتعلق بعمل اللسان، كالدعاء والحلف والنذر.

المثال الأول: الدعاء، وهو التوجه بالطلب إلى من يقدر على قضاء جميع الحاجات **﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾**[(٣)] فيجب أن يكون الدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ خالصاً لله وحده فلا يجوز التوجه بالدعاء إلى الأموات كما يفعل كثير من الناس عند قبور الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين يدعونهم لقضاء الحاجات وتنفيس الكربات فإن هؤلاء وإن كان لبعضهم حياة خاصة كالأنبياء والشهداء إلا أنه ليس لهم من الأمر شيء فلا يقدرون على فعل شيء من ذلك، فمن دعاهم فقد وقع في الشرك لقول رسول الله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»[(٤)] لأن

---

(١) النحل: آية ١٠٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وألفاظهم متقاربة، انظر جمع الفوائد جـ ٢ ص ٧٠٥ كتاب التوبة رقم الحديث ٩٧٤٤.

(٣) غافر: آية ٦٠.

(٤) رواه مالك في الموطأ في باب جامع الصلاة مرسلاً عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رسول الله، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي خالد =

الدعاء عبادة بل هو مُخّ العبادة كما قال ﷺ: «الدعاء عبادة»[١] وفي رواية «الدعاء مُخُّ العبادة»[٢] فمن دعا غير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد عبده من دون الله فإن كان في قبر فقد اتخذ القبر وثناً يعبد من دون الله وإن كان حياً فقد جعله إلهاً يُعْبَد من دون الله تعالىٰ: وذاك شرك يبطل الإيمان بالله تعالىٰ، وفي الحديث: «يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[٣].

وأما التوجه بالطلب إلى من يقدر على تلبيته من الناس الأحياء فليس من باب الدعاء في شيء، وإنما هو من باب التعاون وهو مشروع إذا كان في الخير كما قال تعالىٰ: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾**[٤].

فإذا أخلص العبد لله تعالىٰ في الدعاء فقد عبد الله تعالىٰ كما قال عز وجل: **﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾**[٥] **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله**

= الأحمر عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به ولم يذكر عطاء ورواه البزار عن عمر بن محمد عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. فالحديث صحيح في المرسل والمسند، وانظر تيسير العزيز الحميد ص **٣٣٩** باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً.

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه عن النعمان بن بشير مرفوعاً بلفظ: (الدعاء هو العبادة) انظر جمع الفوائد ج **٢** ص **٦١٥**.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث ابن لهيعة ورمز له السيوطي بالضعف، انظر فيض القدير ج **٣** ص **٥٤٠** رقم الحديث **٤٢٥٦** وانظر تحفة الأحوذي ج **٩** ص **٣١١** كتاب الدعوات رقم الحديث **٣٤٣١**.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. اهـ انظر جمع الفوائد جـ **٢** ص **٣٢٩** كتاب القدر، رقم الحديث ٧٦٣٥.

(٤) المائدة: آية **٢**.

(٥) غافر: آية **٦٥**.

مخلصين له الدين﴾[1] ويكون الدعاء خالصاً لله تعالىٰ إذا توفرت فيه الشروط التالية:

أولاً: إيمان الداعي بالله تعالىٰ: **﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾**[2].

ثانياً: العدل في الدعاء بأن يدعو بما هو معقول ومقبول من الأمور، والعدوان في الدعاء كأن يسأل الله تعالىٰ الخلود في الدنيا أو بلوغ درجة الأنبياء ونحو ذلك وقد قال تعالىٰ: **﴿ادعو ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾**[3].

ثالثاً: طيب الكسب ليكون الداعي طاهر القلب قريباً من الرب كما قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»[4] وفي الحديث: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به»[5].

ثم إذا شاء الله تعالىٰ استجاب دعاءه أو صرف عنه من السوء مثل دعوته أو ادخر له مثلها من الأجر يوم القيامة، وقد قال تعالىٰ: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**[6].

المثال الثاني: الحلف، ومعناه توكيد المحلوف عليه بأعظم معظم عند الحالف.

وليس أعظم عند المسلم من الله تعالىٰ أحد بحال من الأحوال،

---

(١) البينة: آية ٥.
(٢) الرعد: آية ١٤.
(٣) الأعراف: آية ٥٥ وانظر فتح القدير للشوكاني جـ ٢ ص ٢١٥.
(٤) رواه الطبراني في الصغير مرفوعاً عن ابن عباس. انظر الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٢ ص ٥٤٧ كتاب البيوع، باب الترغيب في طلب الحلال. رقم الحديث ٨.
(٥) رواه الطبراني في معجمه الصغير، انظر الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٥٤٧ باب الترغيب في طلب الحلال من كتاب البيوع، رقم الحديث ٨.
(٦) البقرة: آية ١٨٦.

ولذلك فإنه لا يجوز الحلف بغير الله تعالىٰ لقوله ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[(١)] وفي رواية: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(٢)].

فلا يجوز الحلف بالأباء ولا بالأبناء ولا الأنبياء ولا الأولياء ولا الصالحين ولا يجوز الحلف بالكعبة المشرفة ولا بالأمانة ولا برحمة فلان ولا بحياته لقوله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[(٣)].

فمن حلف بغير الله تعالىٰ فقد جعل غير الله تعالىٰ مقدّماً على الله تعالىٰ في التعظيم أو جعله بمنزلته فيه وذاك شرك لا يجوز فيبطل به الإيمان إذا علم فاعل ذلك حكم الله تعالىٰ في القضية ثم أصرّ على الحلف بغيره تعالىٰ، وقد قال تعالىٰ: **﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[(٤)] وهذه الآية وإن وردت في الربا إلاّ أن حكمها يعم كل من يستحل مخالفة حكم شرعي بعد بلوغ الحجة فيه دون عذر مشروع، وذلك كما يقال فيمن قتل الصيد في الحرم ثم عاد إليه بعد علمه بالتحريم دون عذر كما قال تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾**[(٥)].

---

(١) رواه مسلم، انظر شرح النووي ج ١١ ص ٢٠٦ كتاب الإيمان. باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

(٢) رواه أحمد والحاكم ورواه الترمذي وابن حبان بلفظ (فقد كفر وأشرك). انظر التلخيص الحبير ج ٤ ص ١٦٨ رقم ٢٠٤٢ كتاب الإيمان.

(٣) رواه البخاري ومسلم، انظر بلوغ المرام ص ٢٨٣ كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٣٨٦.

(٤) البقرة: آية ٢٧٥.

(٥) المائدة: آية ٩٥.

المثال الثالث: النذر، وهو إلزام المرء نفسه بنوع من أنواع القربات لم تتعين عليه في الشرع، وهو مكروه من حيث الأصل[1] لما فيه من تعليق العبادة على شرط العوض وقد نهى ﷺ عن النذر وقال: «إنه لا يأتي بخير ولكنه يستخرج به من البخيل»[2] ولكنه متى نذره العبد وجب عليه الوفاء به.

وهو على نوعين: نذر طاعة ونذر معصية[3]، فنذر الطاعة مشروع وهو يتعلق بالواجبات والمندوبات والمباحات فيجب الوفاء به لما فيه من تعظيم الله تعالىٰ بطاعته ونذر المعصية ممنوع، وهو يتعلق بالحرام من الأقوال أو الأفعال وبالمكروهات فلا يجوز الوفاء به لما فيه من التعدي على حرمة الله تعالىٰ ومعاندة شرعه.

ونذر المعصية هو الذي يدخل بسببه صاحبه في الشرك لما فيه من إلغاء طاعة الله تعالىٰ وإحلال المعصية محلها في نفس الناذر، وفي ذلك تقديم لأمر الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر على أمر الله تعالىٰ الذي يأمر بالعدل والإحسان، وهذا هو عين شرك الطاعة والعبادة وقد قال تعالىٰ: **﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأنْ اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾**[4].

ولذلك فقد استحق الناذر لغير الله تعالىٰ أي ناذر المعصية أن يتوجه إليه رسول الله ﷺ بالمنع والردّ فقال: «لا نذر إلا فيما ابتغى به وجه الله تعالىٰ»[5] لأن من فعل ذلك فقد ألزم نفسه بعبادة غير الله وهو الشيطان وعبادة الشيطان كفر وشرك.

---

(١) كشاف القناع جـ ٦ ص ٢٦٨.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٢٥ كتاب النذور، باب النهي عن النذر، رقم الحديث ١٠٠٦.

(٣) انظر المغني لابن قدامة جـ ١٠ ص ٣ المسألة رقم ٨١٨٢.

(٤) يس: آية ٦٠.

(٥) رواه أحمد وأبو داود. انظر نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٤٣ كتاب النذر رقم الحديث ٣ وأورده ابن حجر في التلخيص وسكت عليه، انظر التلخيص الحبير جـ ٤ ص ١٧٥ كتاب النذور رقم الحديث ٢٠٥٩.

ومن هنا جاء الأمر بالوفاء بنذر الطاعة والنهي عن الوفاء بنذر المعصية في قوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[1].

ويدخل في شرك اللسان كل قول مخالف لأمر الله تعالىٰ كالكذب والزور والبهتان والنميمة والغيبة والسب والشتم والفحش في القول إذا كان عالماً بالتحريم ومستحلاً للمخالفة.

الصورة الثالثة: شرك جوارحي، أي يتعلق بعمل الجوارح، كالقيام والركوع والسجود والصيام والذبح ونحو ذلك مما يصرف لغير الله تعالىٰ،

المثال الأول: القيام، وهو الوقوف على جهة التعظيم والتقديس ويسمى القنوت، وذلك لا يجوز أن يكون إلا لله تعالىٰ وحده كما قال تعالىٰ: ﴿**وقوموا لله قانتين**﴾[2] وهو من جملة أعمال الصلاة التي هي تعظيم لله تعالىٰ: ﴿**وأقم الصلاة لذكري**﴾[3] أي لاستحضار عظمة الله تعالىٰ ورقابته لخلقه كما قال ﷺ في جوابه لجبريل حين سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4].

فلا يجوز الوقوف على تلك الجهة لغير الله تعالىٰ لأن ذلك شرك في هذا النوع من أنواع العبادة لما فيه من صرف بعض صور التعظيم والتقديس لغير الله تعالىٰ كما يفعل حرس الملوك والسلاطين حيث يقف بعضهم عند رأس السلطان وهو جالس على كرسي العرش، ثم لا يأتي الحرس بأي حركة أثناء قيامهم في نوبة حراستهم وكأنهم خشب مسندة.

وهذا ما كان يفعله الفرس بملوكهم وفيه ورد النهي عن القيام في

---

(١) رواه البخاري عن عائشة مرفوعاً، انظر صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٧٧ كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة.

(٢) البقرة: آية ٢٣٨.

(٣) طه: آية ١٤.

(٤) رواه مسلم وأصحاب السنن، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ١١ كتاب الأيمان، رقم الحديث ٣٦.

الحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[1] ولما صلّى رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه بالناس جالساً وصلى الناس وراءه قياماً أشار إليهم أن اجلسوا، فلما انصرف من صلاته بهم قال: «كدتم والذي نفسي بيده تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وأمرائهم»[2].

وأما القيام على جهة الاحتفاء والتكريم فلا حرج فيه[3]، فإنه لما دخل عكرمة بن أبي جهل مسلماً مهاجراً إلى الله ورسوله قام إليه فرحاً به[4].

وفي الحديث: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه»[5] ومن إكرامه القيام له إذا كان القيام من عادة الناس فعله لما فيه من إدخال الغبطة إلى قلبه ونزع الوحشة منه وذاك من مقاصد الشريعة وأهدافها في العلاقة بين المسلمين[6].

ولذلك فقد بوّب البيهقي في سننه (باب القيام لأهل العلم على وجه الإكرام) ثم ذكر قيام طلحة إلى أُبيّ بن كعب حين نزلت الآية في توبته

---

(١) رواه أحمد والطيالسي.. انظر كشف الخفاء جـ ٢ ص ٣٠٦ رقم الحديث ٢٣٥٠ ورواه الترمذي بلفظ (من سرّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) ثم قال: هذا حديث حسن .اهـ.
انظر تحفة الأحوذي جـ ٨ ص ٣٠ كتاب الاستئذان والأدب، باب ما جاء في كراهية القيام، رقم الحديث ٢٩٠٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، انظر شرح النووي جـ ٤ ص ١٣٢ كتاب الصلاة باب ائتمام المأموم بالإمام.

(٣) انظر مختصر منهاج القاصدين ص ١٠١ باب حقوق المسلم والرحم والجوار.

(٤) رواه البيهقي من طريق الواقدي بسنده، ورواه مالك عن الزهري مرسلاً، انظر الآداب الشرعية جـ ١ ص ٤١٣ فصل القيام للقادم وأدب السنة ومراعاة العادة فيه.

(٥) رواه البيهقي من رواية حسين بن عمر الأحمسي وهو ضعيف، قال البيهقي: وقد روى هذا من أوجه أخر كلها ضعيفة وروى مرسلاً عن الشعبي باسناد صحيح إليه. انظر الآدب الشرعية جـ ١ ص ٤١٣.

(٦) وبه يقول ابن الجوزي وابن تيمية، انظر الآداب الشرعية جـ ١ ص ٤٠٧.

بعد أن تخلف عن غزوة تبوك وبارك له في ذلك، وذكر قوله ﷺ لأصحابه حين جاء سعد بن معاذ وقد رضي يهود بني قريظة بتحكيمه وكان جريحاً (قوموا إلى سيدكم)، وقال الإمام مسلم: لا اعلم في قيام الرجل للرجل حديثاً أصح من هذا [١].

المثال الثاني: الركوع، وهو الانحناء على جهة التعظيم، وقد يطلق على السجود لكنهما إذا اجتمعا كان السجود أبلغ، وفي الحديث: «أما الركوع فعظموا فيه الرب»[٢] فهو من العبادة فلا يجوز أن يصرف لغير الله تعالىٰ، ومن فعل ذلك في حال الاختيار فقد أشرك بالله تعالىٰ إذا كان عالماً بالتحريم.

وما يفعله بعض الناس من الانحناء عند اللقاء وفي المسارح عند تبادل التحية مع الآخرين محرم لأنه نوع من أنواع الشرك، ومن فعله بعد العلم بالتحريم مع الاختيار يكون قد أشرك بالله تعالىٰ في العبادة فيبطل إيمانه، فلا يجوز الركوع لا للأنبياء ولا للأولياء ولا للحكام ولا للآباء ولا للأزواج ولا لغير هؤلاء وأولئك أصلاً.

المثال الثالث: السجود، وهو الخضوع التام الكامل ويكون بوضع الجبهة على الأرض، وقد يطلق على الركوع وهو الانحناء كما قد يطلق الركوع على السجود إلا أنهما إذا اجتمعا كان لكل منهما معناه كما ذكرنا، وفي القرآن: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر﴾**[٣] والمراد بالسجود هنا الانحناء لآدم بأمر الله تعالىٰ لتعظيمه[٤]، فيحتمل أن يكون بمعنى الانحناء كما يحتمل أن يكون بمعنى

---

(١) انظر الآداب الشرعية جـ ١ ص ٤١٢.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ ص ٨٤ كتاب الصلاة، باب النهي عن القراءة في الركوع والسجود رقم الحديث ٢٩٥.

(٣) البقرة: آية ٣٤.

(٤) قال أبو عمر: وسجد إذا طأطأ رأسه .اهـ فتح القدير جـ ١ ص ٨٦٦

وضع الجبهة على الأرض[(١)] وهو الأصل في هذه اللفظة إلا أنْ يصرفها عنه صارف.

والسجود نوع من أنواع العبادة فلا يجوز أن يكون لغير الله تعالىٰ ومن فعله في حال الاختيار مع العلم بتحريمه فقد أشرك بالله تعالىٰ، وفي الحديث: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[(٢)] وحرف «لو» في اللغة العربية يفيد الامتناع فلا يجوز السجود لغير الله تعالىٰ لأنه عبادة تقرب إلى الله تعالىٰ: **﴿كلاً لا تطعه واسجد واقترب﴾**[(٣)] وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء»[(٤)].

المثال الرابع: الذبح، وهو قطع الودجين والحلقوم والمرىء من رقبة البهيمة ليسهل تدفق الدم من جميع بدنها فيطيب لحمها، والأصل في الذبح أن يراد لاستحلال الأكل من البهيمة فيجب أن يذكر اسم الله تعالىٰ عند ذبحها لأنه هو الذي خلقها وأودع فيها الروح فلا يجوز هدم بناء جسدها وإخراج الروح منها إلا بإذنه تعالىٰ ويكون ذلك بذكر اسم الله تعالىٰ عليها عند الذبح كما قال تعالىٰ: **﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إنْ كنتم بآياته مؤمنين﴾**[(٥)].

فلا يجوز الذبح لغير الله تعالىٰ بذكر اسم ملك أو نبي أو ولي أو سلطان أو جنّي أو إله غير الله تعالىٰ لأنه لا علاقة لأحد من هؤلاء في خلق البهيمة وبث الروح فيها أصلاً، فذكر اسم أحد من دون الله تعالىٰ

---

(١) وهذا هو المقصود في الآية عند جمهور أهل العلم. انظر نفس المصدر.

(٢) رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة ورواه أبو داود والحاكم عن قيس بن سَعْد بن عبادة بلفظ قريب منه. انظر كشف الخفاء جـ ٢ ص ٢٢٨ رقم الحديث ٢١١٤.

(٣) العلق: آية ١٩.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة. انظر كشف الخفاء جـ ١ ص ١٨١ رقم ٤٧٩.

(٥) الأنعام: آية ١١٨.

على الذبيحة يفضي بفاعله إلى الشرك لأنه جعل غير الله تعالىٰ شريكاً له في الخلق والإيجاد بالإحياء والإماتة التي هي من فعل الله تعالىٰ وحده **﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾**[(١)].

ولذلك فإنه يحرم الأكل من الذبيحة التي ذكر عليها اسم غير الله تعالىٰ لقوله عز وجل: **﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾**[(٢)] **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأنْ تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾**[(٣)].

فكل ما ذكر عليه اسم غير الله تعالىٰ من الذبائح فقد أهلَّ به لغير الله تعالىٰ وكل ما تم ذبحه عند قبر نبي أو ولي أو رمز من الرموز لما يعظمه الناس في حياتهم جماداً كان أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً حياً كان أو ميتاً فإنه يكون مما يذبح على النُصُب، ويدخل في ذلك ما يسمونه بالنصب التذكارية لبعض الزعماء أو الشهداء فإنه لا يجوز الذبح عندها، وما يذبح عندها يكون مما ذبح على النصب فيكون شركاً ولا يجوز الأكل منه لأنه حرام، لكن يمكن ذبح البهيمة بمعزل عن القبر ويذكر اسم الله تعالىٰ عليها ويوزع لحمها بنية الصدقة عن المقصود فيكون ذلك جائزاً في هذه الحالة لخُلُوِّه عن الحرام وشبهته، فقد نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد. قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم. قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك»[(٤)].

---

(١) المؤمنون: آية ٨٠.
(٢) الأنعام: آية ١٢١.
(٣) المائدة: آية ٣.
(٤) رواه أبو داود والطبراني وصحح ابن حجر العسقلاني إسناده، وأخرج نحوه أبو داود من وجه آخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً، ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس ورواه أحمد في مسنده من حديث عمرو بن شعيب =

ويدخل في شرك الجوارح كل عمل مخالف لشرع الله تعالىٰ إذا كان فاعله مختاراً عالماً بالتحريم لكنه استحل مخالفته له حيث يبطل بذلك إيمانه.

تنبيه: وعمدة اعتبار المخالفة الشرعية شركاً أكبر أمران:

الأمر الأول: العلم بالحكم الشرعي في القضية.

الأمر الثاني: استحلال مخالفة الحكم الشرعي فيها.

وسبب بطلان الإيمان في هذه الحالة هو أنه يكون قد ردّ على الله تعالىٰ حكمه وقدم رأى نفسه وهواها الذي أوحى إليه به الشيطان على حكم الله تعالىٰ وبالتالي فإنه لا يكون خاضعاً لأمر الله تعالىٰ ولا منقاداً له وقد قال تعالىٰ: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[1] وسبب خسرانه هو استجابته لوسوسة الشيطان وإيحائه له حتى أوقعه في المخالفة المؤدية إلى الخسارة والعذاب يوم القيامة **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾**[2].

= عن ابنة كردم عن أبيها بنحوه، انظر نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٤٤ كتاب النذر باب ما جاء في نذرالمباح والمعصية وما أخرج مخرج اليمين. رقم ٥.

(١) آل عمران: آية ٨٥.

(٢) الزخرف: آية ٣٩.

المبحث الثالث

الشرك في الأسماء والصفات

وذلك بإثباتها لله تعالىٰ على نحو ما هي ثابتة للمخلوقين أو نفيها عنه بحجة الخوف من التجسيم، ولذلك فإن هذا النوع من الشرك ينقسم أيضاً إلى نوعين: سلبي وإيجابي.

المطلب الأول

الشرك السلبي، وله صورتان

الصورة الأولى: السلب الكلي، وذلك بإنكار صفات الله تعالىٰ وأسمائه جملة وتفصلاً ونفيهاعنه تعالىٰ بالتأويل بحجة الخوف من التجسيم كما فعل الجهمية[1] فقالوا: إن الله تعالىٰ سميع بلا سمع بمعنى أنه خلق السمع في غيره وعليم بلا علم بمعنى أنه خلق العلم في غيره وهكذا، فاستجابوا بذلك لوسوسة الشيطان وإيحائه لهم وقدّموها على وحي الله تعالىٰ وخبره عن صفات نفسه وأسمائه فوقعوا لذلك في الشرك الأكبر.

الصورة الثانية: السلب الجزئي، وذلك بإثبات الأسماء بحجة أن منتهاها إلى مسمى واحد وهو الله تعالىٰ، وبنفي الصفات بحجة الخوف من التجسيم كما فعل المعتزلة[2] فقالوا إنّ صفات الأفعال الإلهية أسماء

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٢٧. مجموع الفتاوى جـ ٦ ص ٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى جـ ٦ ص ٢٢٠.

احتجاجاً بقوله تعالىٰ: ﴿**هو الله الذي لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمٰن الرحيم هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق الباريء المصوِّر له الأسماء الحسنى**﴾[1] فكانت صفات الأفعال أسماء، وأما صفات الذات كالوجه واليد والعين فإنهم ينفونها عن الله تعالىٰ بالتأويل بحجة الخوف من التجسيم ويقولون في نسبتها إلى الله تعالىٰ بأنها نسبة مجازية بمعنى أنه تعالىٰ خلق هذه الصفات في المخلوقات. وكما فعل المُفَوِّضة[2] الذين قالوا: لا ندري ما إذا كان لصفات الله تعالىٰ حقائق أم لا، وتوقفوا عن البتّ في ذلك حتى سموا بالواقفية أيضاً، ولكنهم أثبتوا الأسماء لله تعالىٰ.

المطلب الثاني

الشرك الإيجابي، وله صورتان أيضاً

الصورة الأولى: الإيجاب الكلي، بإثبات صفات الله تعالىٰ على نحو ما هي ثابتة للمخلوقين إما بتشبيه الخالق بالمخلوق كما فعل المجسمة الكرامية[3] فقالوا إن لله تعالىٰ يداً كأيدينا ووجهاً كوجوهنا وعيناً كأعيننا وهكذا، وإما بتشبيه مخلوق بخالق كما فعل اليهود بقولهم: «عزير ابن الله» وكما فعل النصارى بقولهم: «المسيح ابن الله» وكما فعل مشركوا العرب بقولهم: «الملائكة بنات الله» كما أخبر الله تعالىٰ عن ذلك بقوله: ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾[4].

والمقصود بمضاهاتهم قول الذين كفروا من قبل مقالة عبدة الأوثان

---

(١) الحشر: آية ٢٤.

(٢) ويسمون بالواقفية أيضاً، انظر مجموع الفتاوى ج ٥ ص ١٧٩، وانظر الملل للشهرستاني ج ١ ص ١٣٦.

(٣) الملل للشهرستاني ج ١ ص ١٣٦. وج ٢ ص ٦.

(٤) التوبة: آية ٣٠.

في قولهم بأن اللات والعزّى ومناة بنات الله **﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾**(١).

الصورة الثانية: الإيجاب الجزئي، بإثبات بعض صفات الله تعالىٰ ونفي البعض الآخر بالتأويل، كما فعل الأشعرية الكلابية حيث أثبتوا لله تعالىٰ من الصفات عشرين صفة: واحدة نفسية وخمس سلبية وسبعة معاني وسبعة معنوية(٢)، ثم أولوا ما عداها من الصفات الذاتية الخبرية خشية الوقوع في التجسيم، استجابة لنداء العقل فقدموه على نداء الوحى بحجّة تنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة المخلوقات، مع أن التنزيه عبادة وهي لا تكون إلا كما يريد الله تعالىٰ لا كما يريد العقل فهي كالعبادات البدنية والعبادات المالية من صلاة وصيام وزكاة وحج ونحو ذلك. وكما فعل الماتريدية الذين وافقوا الأشعرية في بعض آرائهم كما وافقوا المعتزلة في بعضها الآخر ووافقوا أهل السنة في بعضها الثالث.

تنبيه: ونحن إذ نذكر الأشعرية والماتريدية وكذا الجهمية والمعتزلة في قسم الشرك الأكبر فإنما مرادنا أقوالهم دون أشخاصهم، لأن الأشخاص قد لا تكون الحجة الصحيحة وصلت إليهم فهم معذورون عندئذ، وأما من بلغته الحجة منهم ثم لم يبق له في ردها شبهة إلا متابعة المذهب والتعصب له فإن هؤلاء هم الذين يدخلون في مسمى هذا التقسيم والتفريع(٣) **﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**(٤).

---

(١) النجم: آية٢٧.

(٢) أما النفسية: فهي الوجود، وأما الخمس السلبية: فهي البقاء والقدم والوحدانية ومخالفة الحوادث والقيام بالنفس، وأما السبع المعاني فهي: الإرادة والقدرة والكلام والحياة والعلم والسمع والبصر، وأما السبع المعنوية: فهي الملازمة للسبع المعاني وهي كونه تعالى: مريداً قديراً متكلماً حياً عليماً سميعاً بصيراً. انظر أم البراهين في العقائد ص ٤ من مجموع المتون.

(٣) وانظر مثل هذا القول في مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٢٥٤.

(٤) البقرة: آية ٢٧٥.

ولذلك فإن أهل السنة لم يكفروا الجهمية ولا المعتزلة ولا الأشعرية الكلابية ولا المفوضة والماتريدية ولا غيرهم ممن كان له اجتهاد بأعيانهم وإنما شنعوا على آرائهم وكفروها[١] لما فيها من تقديم مقتضيات العقل البشري على النص الشرعي والله تعالىٰ يقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾**[٢] **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**[٣] **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[٤].

فيجب التفريق بين تكفير القول وتكفير القائل إذ لا يلزم من تكفير القول تكفير القائل لاحتمال أن لا تكون الحجة قد بلغته فيكون معذوراً وقد قال تعالىٰ: **﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾**[٥] **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**[٦]،

ومعلوم أن من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم تكفير المسلمين أو الحكم عليهم بالشرك بسبب معصية أو فسق إلا أن يستحله أحد منهم فعندئذ يحكم عليه بذلك[٧]، ففي الحديث: «كُفّوا عن أهل لا إلٰه إلا الله لا تكفروهم بذنب، من أكفر أهل لا إلٰه إلا الله فهو إلى الكفر أقرب»[٨] وعن أبي سفيان قال سألت جابراً وهو مجاور بمكة وهو نازل في بني فهر فسأله رجل: هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً، قال: معاذ الله،

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الحجرات: آية ١.
(٣) الأحزاب: آية ٣٦.
(٤) النور: آية ٦٣.
(٥) الأنعام: آية ١٩.
(٦) الإسراء: آية ١٥.
(٧) انظر العقيدة الطحاوية ص ٤٣٢.
(٨) رواه الطبراني في الكبير، وفيه الضحاك بن حمزة عن علي بن زيد، وقد اختلف في الاحتجاج بهما، انظر مجمع الزوائد جـ ١ ص ١٠٦ كتاب الإيمان، باب لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب.

ففزع لذلك، قال: هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً، قال: لا[1].

وهذه قضية يجب التنبيه إليها لما في تكفير المؤمن من خطر كبير على إيمان فاعل ذلك ومصيره، فقد قال ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»[2].

ومنشأ هذه الخطورة هو أن تكفير من لا يستحق التكفير يوجب أن يكون فاعل ذلك قد وصف الإسلام ذاته بالكفر، وهذا هو عين الكفر كما هو نص الحديث المذكور آنفاً، ويترتب على انتشار التكفير بين المسلمين والتكفير المضاد أن ينتهك بعضهم حرمة دماء بعض، وقد قال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض»[3].

ولئن كان لعن المؤمن في الإثم كقتله كما قال ﷺ: «لعن المؤمن كقتله»[4] فكيف بتكفيره إذن. نسأل الله العافية في الدنيا وسلامة العاقبة في الآخرة.

---

(١) رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد جـ ١ ص ١٠٧ كتاب الإيمان، باب لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب.

(٢) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٦٣ كتاب الأدب باب الترهيب من قوله لمسلم يا كافر، رقم الحديث ١.

(٣) رواه البخاري جـ ١ ص ٤٠ كتاب العلم باب الإنصات للعلماء، ورواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ ص ١٩ كتاب الإيمان.

(٤) رواه البخاري جـ ٨ ص ١٦٦ كتاب الأيمان والنذور باب من حلف بملة سوى الإسلام.

الفصل الثاني
الشرك الأصغر

ويسمى شركاً أصغر[1] لأن صاحبه لا يخرج به من المِلّة وهو المقصود في قوله تعالىٰ: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾**[2] وذلك فيما إذا كان الضمير في الآية عائداً إلى المسلمين لأن أكثرهم قد وقع في المخالفات الشرعية الكبائر منها والصغائر، وإذا كان الضمير في الآية عائداً إلى غير المسلمين فالمقصود بالشرك هنا هو الشرك الأكبر لأن أكثر الناس يجمعون بين الإيمان بالله تعالىٰ وبين الشرك به في الألوهية والعبادة: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾**[3] والسؤال هنا موجه إلى المشركين في عهد النبي ﷺ ومن بعدهم.

ولما كان الشرك الأصغر على ثلاثة أنواع، فسنجعل كل نوع منها في مبحث مستقل:

---

(١) ففي الحديث (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) فسئل عنه فقال: الرياء. رواه الإمام أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد، انظر الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٦٩.

(٢) يوسف: آية ١٠٦.

(٣) العنكبوت: آية ٦١.

المبحث الأول
الشرك القلبي

أي يتعلق بعمل القلب، وهو الرياء ويسمى الشرك الخفي، لأنه يخفى على غير صاحبه معرفة حقيقة الدافع له على القول أو الفعل[1] فهو يقصد بالعبادة وجه الناس وإعجابهم وتكريمهم له ظناً منهم بأنه يفعله لوجه الله تعالىٰ. وللرياء صورتان:

الصورة الأولى: الرياء الأصلي، وهو الذي يكون الدافع فيه إلى أداء الفرائض الشرعية أصلاً وجه الناس بحيث لو لم يره الناس ما فعلها، وهذا من الشرك الأكبر الذي يكفر به صاحبه لأنه يقدم الخوف من الناس أن يعاتبوه أو يعاقبوه أو الرجاء منهم أن يثيبوه أو يكرموه على خوف الله وثوابه.

وهذا هو النفاق الاعتقادي الذي يمارسه المنافقون مع المؤمنين سواء بالقول كما قال تعالىٰ: **﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾**[2] أو بالعمل كما قال تعالىٰ: **﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾**[3] أي لا إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين الذين

---

(١) انظر حاشية كتاب التوحيد ص ٢٦٧.
(٢) المنافقون: آية ٢.
(٣) النساء: آية ١٤٣.

تتطابق أقوالهم مع أفعالهم وإنما أظهروا الإيمان بجوارحهم وأبطنوا الكفر في قلوبهم.

الصورة الثانية: الرياء الإضافي، وهو الذي يطرأ على العبادة القولية أو الفعلية، حين يشعر صاحبها بمراقبة أحد من الناس له فيها فيعمد إلى تحسينها وتكميلها لينال به رضاهم واستحسانهم بعد أن كان الدافع له إلى فعل العبادة وجه الله تعالىٰ بحيث إنه يفعلها وإن لم يره الناس.

ومثل هذا الرياء يفسد ذات العبادة التى رافقها دون الإيمان[1] لأن العبادة لم تخلص لله تعالىٰ، والله تعالىٰ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾[2] ﴿**فاعبد الله مخلصاً له الدين**﴾[3] وفي الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[4].

فإذا عرض الرياء أثناء العبادة في نفس صاحبها ودفعه عن نفسه فلا تبطل به، وإذا استرسل معه ففي بطلان العبادة خلاف، قيل: تبطل، كما ذكرنا، وقيل: لا تبطل وله من الأجر بقدر إخلاصه فيها[5].

وفي الحديث: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»[6] وقد قال تعالىٰ: ﴿**فمن**

---

(١) وانظر كتاب التوحيد ص ٥١ في الحاشية.
(٢) البينة: آية ٥.
(٣) الزمر: آية ٢.
(٤) رواه مسلم. انظر مُختصر مسلم جـ ٢ ص ٣١٥ كتاب الزهد. باب من أشرك في عمله غير الله سبحانه، رقم الحديث ٢٠٨٩ ورواه ابن ماجه ولفظه (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) ورواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في سننه، ورواة ابن ماجه ثقات كما قال المنذري في الترغيب والترهيب جـ ٦٩ باب الترهيب من الرياء رقم الحديث ٢٣.
(٥) انظر كتاب التوحيد ص ٢٦٦ في الحاشية.
(٦) رواه ابن ماجه والبيهقي، انظر الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٦٨ باب الترهيب من الرياء، رقم الحديث ٢١.

كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[١].

وورد تسمية هذا النوع من الشرك الإضافي بشرك السرائر، ففي الحديث: «إياكم وشرك السرائر، قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر، قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه فذلك شرك السرائر»[٢].

وهذا الحكم يشمل الرجال والنساء على السواء، ولكنه ورد ذكر الرجل في الحديث هنا دون المرأة لأن الرجل أكثر خلطة بالناس من المرأة في الصلاة وفي غيرها، وأما المرأة فإنها تصلي غالباً في جوف بيتها، فإذا طرأ عليها الرياء في صلاتها فلها من الحكم ما للرجل.

وعن يعلى بن شداد عن أبيه قال: كنا نعدّ الرياء في زمن النبي ﷺ الشرك الأصغر[٣].

---

(١) الكهف: آية ١١٠.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه، انظر الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٦٨ باب الترهيب من الرياء، رقم الحديث ٢١.

(٣) رواه البيهقي، انظر الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٧١ باب الترهيب من الرياء. رقم الحديث ٢٦.

المبحث الثاني
الشرك اللساني

أي يتعلق بعمل اللسان، وهو على أنواع في مطالب:

المطلب الأول
التسوية في العبارة لا الاعتبار

التسوية بينَ الله تعالىٰ وبين غيره في العبارة لا في الاعتبار كقول: ما شاء الله وشاء فلان، فإنّ الواو في اللغة تقتضي التشريك في الحكم، ولا يجوز التسوية بين الله تعالىٰ وبين غيره في الاعتبار قطعاً لأن ذلك من الشرك الأكبر، ولا يجوز التسوية بين الله تعالىٰ وبين غيره في العبارة أيضاً لما في ذلك من انعدام التأدب مع الله تعالىٰ، ولذلك فإنه حين قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت يا رسول الله غضب وقال له: «ويحك أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده»[1].

ومثل ذلك قولهم: لولا الله وأنت، وهذا من فضل الله وفضل فلان، وما لنا إلا الله وفلان، وأنا متوكل على الله وعلى فلان، وهذا من خير الله وخير فلان، وأنا مستجير بالله وبفلان، ونحو ذلك.

---

(١) رواه ابن مردويه ـ وروى النسائي وابن ماجه نحوه، انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٠١ باب قول: ما شاء الله وشئت، وروى نحوه أحمد وأبو داود والنسائي عن حذيفة مرفوعاً بلفظ: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) انظر كشف الخفاء جـ ٢ ص ٤٩٩ رقم ٣٠٣٧.

المطلب الثاني

نسبة النعم إلى غير الله تعالى

نسبة النعم إلى غير الله تعالىٰ كإنزال المطر وإنبات الزرع وكالنصر على العدو ونحو ذلك، قال تعالىٰ: **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾**[1].

وعن زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء[2] كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس وقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمامن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»[3] فلا يجوز نسبة نزول المطر إلى التيارات الهوائية[4] وارتباطها بالنجوم والكواكب على جهة الحقيقة وإنما هي أسباب بأمر الله تعالىٰ في حصول التيارات وهطول المطر، فمن قطع النظر عن المؤثر الأول فيها وهو الله تعالىٰ واعتقد أنها تؤثر بذاتها كما كان بعض العرب في الجاهلية يقولون فقد أشرك بالله تعالىٰ شركاً أكبر، ومن اعتقد أنها تكون بأمر الله تعالىٰ ولكنه صرف نسبة نزول المطر إليها باللفظ فقط فإنه يكون قد أشرك شركاً أصغر لما في قوله هذا من إضافة نعمة إنزال المطر إلى غير الله تعالىٰ: **﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾**[5] وقال تعالىٰ: **﴿ولئن سألتهم من نَزَّلَ من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾**[6] وقال: **﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾**[7] ....

---

(١) النحل: آية ٥٣.

(٢) أي على أثر مطر من السماء، فهو مجاز مرسل.

(٣) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ١ ص ٢٠ كتاب الإيمان، باب من قال مطرنا بنوء كذا. رقم الحديث ٥٦.

(٤) وهي التي تسمى بالأنواء جمع نوء بفتح النون وتسكين الواو على وزن ضوء.

(٥) الشورى: آية ٢٨. (٦) العنكبوت: آية ٦٣.

(٧) الواقعة: آية ٦٨.

ومثل ذلك يقال في إنبات الزرع فإن ذلك لا يكون إلا بقدرة الله تعالىٰ وحده وليس للإنسان منه إلا أن يرمي البذور في الأرض ثم يكون تفاعلها مع مكونات التربة بأمر الله تعالىٰ كما قال عز وجل: **﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾**(١)، ومثله يقال في النطفة تقذف في رحم المرأة فيتكوّن الجنين.

وهكذا يقال أيضاً في النصر الذي هو تحقيق الغلبة على العدو فإنه لا يكون إلا بفعل الله تعالىٰ الذي بيده مقاليد كل شيء **﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾**(٢) **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾**(٣) **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾**(٤)، فالمطلوب الإعداد للحرب ثم النصر من الله تعالى.

فالقاعدة في جلب النعم ودفع النقم أنّ ذلك إنما يكون من الله تعالىٰ ثم هناك أسباب جعلها الله تعالىٰ مؤثرة في تحصيل ذلك. ومتى شاء الله تعالىٰ سلبها ذلك التأثير، فالفعل لا يكون إلا بأمر الله تعالىٰ ولكن الله ربط الأسباب بمسبباتها كما ربط الأحكام بمقتضياتها، حتى أصبح الإيمان بأن الله تعالىٰ هو الذي أودع في السبب قوة التأثير من توكل القلب على الله تعالىٰ والأخذ بذلك السبب من الناحية العملية من توكل الجوارح على الله تعالىٰ فلا يغنى أحدهما عن الآخر في تحقيق كمال التوكل **﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾**(٥) **﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾**(٦).

المطلب الثالث

التوسُّل

وهو تفعُّل من الوسيلة، وهي السبب الموصل إلى الشيء، قال

---

(١) الواقعة: آية ٦٣.
(٢) آل عمران: آية ١٢٦.
(٣) غافر: آية ٥١.
(٤) آل عمران: آية ١٦٠.
(٥) المائدة: آية ٢٣.
(٦) التوبة: آية ٥١.

تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[1] أي السبب الذي يوصلكم إلى الله تعالىٰ وتحقيق رضاه وهو الدعاء والعمل الصالح.

والتوسل على صورتين:

الصورة الأولى: توسل مشروع، وله وجهان:

الوجه الأول: التوسل إلى الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، كما قال تعالىٰ: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾[2] وفي الحديث: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي...»[3] ولذلك فقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ يفتتحه بقوله: «يا حي يا قيوم»[4].

الوجه الثاني: التوسل إلى الله تعالىٰ بالإيمان أو بالعمل الصالح سواء كان عمل القلب أو عمل اللسان أو عمل الجوارح سلبياً كان أو إيجابياً، لأن الإيمان والعمل هو الذي يقرب العبد إلى الله تعالىٰ: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[5] وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[6] فيجب أن يكون هو الواسطة بين العبد وخالقه.

وفي الحديث أن ثلاثة من بني إسرائيل أطبق عليهم الغار في جبل

---

(١) المائدة: آية ٣٥.

(٢) الأعراف: آية ١٨٠.

(٣) رواه رزين عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ (أسألك بكل اسم هو لك...) انظر جمع الفوائد جـ ٢ ص ٦٥١ كتاب الأدعية باب، أدعية الكرب والاستخارة، رقم الحديث ٩٤١٧.

(٤) رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب. انظر تحفة الأحوذي جـ ٩ ص ٣٩٥ كتاب الأدعية باب ما يقول عند الكرب رقم الحديث ٣٤٩٨.

(٥) الحجرات: آية ١٣.

(٦) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٢٣٣ كتاب البر والصلة، باب المسلم أخو المسلم؛ رقم الحديث ١٧٧٦.

بأرض فلاة فقالوا: «إنه لا ينجيكم مما أنتم فيه إلا أن تدعوا الله تعالىٰ بصالح أعمالكم»[1] فدعا كل واحد منهم بأحسن عمل له وأخلصه لله تعالىٰ حتى انفرجت الصخرة وخرجوا يمشون.

وفي القرآن: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[2] **﴿كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾**[3] **﴿يوم يدّعون إلى نار جهنّم دعّا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾**[4] أي بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا.

فعمل الإنسان هو الذي يقربه إلى الله تعالىٰ وبالتالي إلى الجنة وعمله هو الذي يبعده عن الله تعالىٰ وبالتالي إلى النار، ففي الحديث القدسي: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالىٰ ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه)[5].

الصورة الثانية: توسل غير مشروع. وله وجهان أيضاً:

الوجه الأول: التوسل إلى الله تعالىٰ بذوات المخلوقين سواء كانوا ملائكة أو جناً أو إنساً من الأنبياء أو الأولياء أو الشهداء أو الصالحين.

فلا يجوز التوسل بأحد من هؤلاء في الدعاء والطلب من الله تعالىٰ كأن يقال: اللهم أسألك بجبريل أو بميكائيل أو بمحمد أو بموسى أو

---

(١) رواه مسلم بلفظ (انظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعل الله يفرجها عنكم) انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٢٥٤ كتاب الدعاء باب الدعاء بما عمل، رقم الحديث ١٨٧٥ ورواه البخاري بنحوه في جـ ٤ ص ٢١٠ كتاب بدء الخلق، باب حديث الغار.

(٢) الأعراف: آية ٤٣.

(٣) الجاثية: آية ٢٨.

(٤) الطور: آية ١٦.

(٥) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ ص ٢٤٣ كتاب الظلم، باب تحريم الظلم، رقم الحديث ١٨٢٨.

بعيسى أو يقول: اللهم أسألك بالولي الفلاني أو بالشهيد الفلاني أو نحو ذلك أن تغفر لي أو تفرّج عني الكرب الفلاني أو أنْ ترزقني كذا وكذا.

فإن مثل هذا التوسل لا يصح شرعاً لأن ذوات هذه المخلوقات ليست من عمل الإنسان وإنما هي من عمل الله تعالىٰ وخلقه، وليس بين الله تعالىٰ وبين العبد إلا الإيمان الذي ينشأ عنه العمل الصالح **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**(١).

الوجه الثاني: التوسل إلى الله تعالىٰ بجاه المخلوقين(٢) سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو أولياء أو شهداء أو صالحين.

فلا يجوز التوسل إلى الله تعالىٰ بجاه أحد من هؤلاء أيضاً لأن جاههم من عملهم(٣) هم وتفضل الله تعالىٰ عليهم(٤)، وليس من عمل الداعي المتوسل بجاههم، كأن يقول: اللهم أسألك بجاه جبريل أو محمد أو فلان وفلان من الأولياء أو الصالحين أو الشهداء، فلا يصح ذلك لأن جاه هؤلاء ليس من عمله ولا من كسبه هو.

وحتى تصحح هذه الصيغة في الدعاء والتوسل يقال: اللهم أسألك بإيماني بجبريل أو بمحمد أو بمحبتي لهما مثلاً(٥) لأن الإيمان والمحبة من عمل القلب، أو يقال: اللهم أسألك بمتابعتي لنبيك ﷺ واقتدائي به، لأن المتابعة والاقتداء من عمل الجوارح، فجاز التوسل بها في هذه الحالة.

فمن توسل إلى الله تعالىٰ بفلان أو بفلان معتقداً أن لفلان على الله تعالىٰ حق فقد وقع في الشرك الأكبر لأنه لا أحد له على الله تعالىٰ حق وإنما الله عز وجل متفضل على الخلق جميعاً:

---

(١) الشعراء: آية ٨٨.
(٢) أي بكرامتهم عند الله تعالى.
(٣) لقوله تعالى: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** الحجرات: آية ١٣.
(٤) لقوله تعالى: **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم﴾** النور: آية ٢١.
(٥) التوسل والوسيلة ص ٩١.

فهو متفضل على المؤمنين ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾[1] وهو متفضل على الأنبياء والناس أجمعين ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[2] وقال تعالىٰ حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[3] ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[4]. كما أنه تعالىٰ متفضل على جميع الخلق بمن فيهم الملائكة والجن والإنس كما قال تعالىٰ: ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[5] والعالم هو كل من عدا الله تعالىٰ.

ولولا فضل الله تعالىٰ لما أفلح المؤمنون فضلاً عن غيرهم ﴿فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾[6].

وأما قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله تعالىٰ، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»[7] فالمراد به حق تفضل من الله تعالىٰ لأنه هو الذي أوجبه على نفسه ولم يوجبه عليه أحد وذلك بما وعد الله به عباده الموحدين المخلصين له في العبادة ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾[8].

ومن توسل إلى الله تعالىٰ بفلان أو بفلان معتقداً أنه يتقرب إلى الله تعالىٰ بما لفلان من جاه وعمل صالح فإن كان ميتاً أو غائباً فلا يجوز لما

---

(١) آل عمران: آية ١٥٢.
(٢) النساء: آية ١١٣.
(٣) يوسف: آية ٣٨.
(٤) غافر: آية ٦١.
(٥) البقرة: آية ٢٥١.
(٦) البقرة: آية ٦٤.
(٧) رواه البخاري ومسلم والترمذي، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ٥ كتاب الإيمان، رقم الحديث ١٣.
(٨) آل عمران: آية ٩.

جعل من الواسطة بينه وبين الله تعالىٰ مع أن الله تعالىٰ يقول: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**[1] وبالتالي فإنه إذا جعل بينه وبين الله تعالىٰ واسطة كما ذكرنا يكون قد وقع في الشرك الأصغر، وإذا كان المتوسل به حياً حاضراً في المجلس فلا حرج في ذلك لأنه مما يقدر عليه وقد قال تعالىٰ: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾**[2] وحين قحط الناس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلب من العباس عم النبي ﷺ أن يدعو الله تعالىٰ لهم ويستسقى ففعل[3]، فدلّ ذلك على جوازه من الحي الحاضر، ولو جاز من النبي ﷺ بعد وفاته لسارعوا إلى قبره وسألوه الاستسقاء فدل على تحريمه من الميت والغائب[4].

ولما قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكة ذات مرة لأداء العمرة في عهد النبي ﷺ وودعه قال له النبي ﷺ: أشركنا يا أخي في دعائك ولا تنسنا[5].

شبهة وجوابها:

فإن قيل قد ورد في الحديث: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك»[6].

---

(١) البقرة: آية ١٨٥.
(٢) المائدة: آية ٢.
(٣) رواه البخاري ج ٢ ص ٣٣ كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.
(٤) ونص الحديث المذكور يدل على ذلك فقد قال الراوي وهو أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا: فيسقون.
(٥) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح .اهـ انظر تحفة الأحوذي ج ١٠ ص ٧ كتاب الدعوات رقم الحديث ٣٦٣٣.
(٦) رواه أحمد وابن ماجه، انظر الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢١٥ كتاب الصلاة، باب الترغيب في المشي إلى المساجد.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن الحديث ضعيف[1].

الثاني: على فرض صحته فإن الباء داخلة على محذوف تقديره: اللهم إني أسألك بوعدك للسائلين بالاستجابة أن تستجيب لي، لأنه ليس لأحد على الله تعالىٰ حق إلا أن يشاء الله تعالىٰ ذلك.

ومثل ذلك يقال في حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وطلب إليه أن يدعو له الله تعالىٰ أن يَرُدَّ عليه بصره، فعلّمه دعاء لذلك فقال بعد أن أمره بالوضوء وصلاة ركعتين: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم شفِّعه فيّ، قال ففعل الرجل فبرأ[2].

ففي الحديث كلام من جهة أنّ فيه مجازاً بالحذف تقديره: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني بنبيك أو بالدعاء الذي علمني نبيك[3].

---

(١) لأنّ فيه عطية العوفي وهو صدوق مدلس ويخطىء كثيراً وكان شيعياً، انظر التقريب ج ٢ ص ٢٤ رقم ٢١٦ وضعّفه ابن تيمية في التوسّل ١٠٧.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. انظر تحفة الأحوذي ج ١٠ ص ٣٢ كتاب الدعوات حديث رقم ٣٦٤٩ وأشار إلى أنه رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين أيضاً في نفس المصدر ص ٣٣.

(٣) انظر التوسل والوسيلة ص ٩٢ ص ١٠٥.

المبحث الثالث

الشرك الجوارحي

أي يتعلق بعمل الجوارح، وهو على أنواع في مطالب:

المطلب الأول

الرقية

وهي بضم الراء المهملة بعدها قاف ساكنة وتسمى العزيمة وهي أدعية تقال أو تكتب لمرض أو حمى أو عين أو نحو ذلك، فما كان منها خالياً من الكلمات الشركية بأنْ كانت بالقرآن الكريم أو بأسماء الله وصفاته أو الأدعية النبوية الثابتة فلا حرج فيها شرعاً، وما كان منها مشتملاً على رموز وطلاسم وأسماء الملائكة أو الجن ونحو ذلك مما فيه استعانة أو استغاثة بهم فلا يجوز وهو من الشرك الأكبر(١)، وما كان خالياً من ذلك واعتقد أنها تدفع عنه شرّ تلك الأمراض والأوجاع بإذن الله تعالىٰ فقد رخص بعض السلف بتعليقها(٢).

---

(١) لما فيه من صرف بعض أنواع العبادة لغير الله تعالىٰ. وقد قال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. اهـ انظر جمع الفوائد جـ ٢ص ٣٢٩ كتاب القدر رقم الحديث ٧٦٣٥.

(٢) منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعائشة وأحمد وابن القيم، انظر تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧.

المطلب الثاني

التميمة

وهي ما يعلق على الأبناء والبهائم والممتلكات من خرز أو خيط أو عظم أو نحو ذلك لرفع ضرر العين والحسد، فإن اعتقد أنها تدفع عنه ذلك الضرر فهو من الشرك الأكبر لأنه لا دافع للضرر ولا جالب للنفع إلا الله تعالىٰ، وإذا اعتقد أنها سبب في دفعه عنه فهي من الشرك الأصغر ولا تجوز في الحالين[(١)]، فقد أرسل رسول الله ﷺ في بعض أسفاره من ينادي في الناس: «لا يبقين في رقبة بعير قلادة إلاّ قطعت»[(٢)].

وفي الحديث: «من تعلق تميمة فلا أتمّ الله له»[(٣)] وفي رواية قال ﷺ في بيان سبب النهي عنها: «من تعلق تميمة وكل إليها»[(٤)] فإن التميمة تقطع توكل صاحبها على الله تعالىٰ إلى التعلق بها وفي ذلك خطر على الإيمان لقوله ﷺ: «إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك»[(٥)].

ولما رأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رجلاً في عضده خيط من حُمَّى أصابته قطعه وتلا قوله تعالىٰ: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾**[(٦)] ثم قال له: لو مت وهو عليك ما صليت عليك[(٧)].

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ١٦٣ وص ١٦٧.

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ١٢٨ كتاب اللباس والزينة، باب قطع القلائد، رقم الحديث ١٣٨٩.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والترمذي عن عقبة بن عامر. انظر تحفة الأحوذي جـ ٦ص ٢٤١ أبواب الطب عن رسول الله، رقم ٢١٥٣.

(٤) رواه أحمد وأبو داود والحاكم. انظر تحفة الأحوذي جـ ٦ص ٢٤١ أبواب الطب عن رسول الله ﷺ باب كراهية التعليق. رقم ٢١٥٢.

(٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم ورمزله السيوطي بالصحة. انظر فيض القدير جـ ٢ص ٣٤٢ رقم ٢٠٠٢.

(٦) يوسف: آية ١٠٦.

(٧) رواه ابن أبي حاتم الرازي صاحب كتاب الجرح والتعديل وكتاب التفسير، وقد توفى سنة ٣٢٧ هـ انظر تيسير العزيز الحميد ص ١٦٠ والتي تليها.

وفي الحديث: «من تعلق ودعة فلا ودع الله له»[١] والودعة بفتح الواو بعدها دال مهملة ساكنة، وهي ما يشبه الصدفة من البحر تعلق في المريض ليسكن من اضطرابه في ظنهم[٢]، فلا يجوز ذلك لما فيه من إسناد السَّلامة والسكون إلى مثل ذلك مما لا دخل له فيه على الحقيقة فهو مما دخل على أفكار الناس من تضليلات الشيطان وعملائه من بني الإنسان.

ويدخل في ذلك اتخاذ حلقة من النحاس توضع حول الساعد أو العضد لاتقاء بعض الأمراض والأوجاع، فإن ذلك مما لا يجوز فقد رأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صُفْر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: «إنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»[٣] وذلك لأن من اعتقد أنها تدفع الوهن وهو الضعف أو المرض بذاتها فذاك شرك أكبر، وإذا اعتقد أنها سبب في دفعه فإنه شرك أصغر لأن مثل ذلك مما لا تأثير له ولا علاقة في جلب النفع أو دفع الضرّ.

المطلب الثالث

التولة

بكسر التاء المثناة وفتح الواو بعدها لام مفتوحة هي ضرب من السحر تفعله المرأة لتجلب محبة زوجها إليها[٤]، وتدخل التولة في الشرك لما فيها من طلب جلب النفع بوسيلة غير مشروعة، فإن النبي ﷺ أخبر أن

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات، عن عقبة بن عامر مرفوعاً، انظر مجمع الزوائد جـ ٥ص ١٠٣. كتاب الطب باب فيمن يعلق تميمة ونحوها.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ١٦٠.

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني. انظر مجمع الزوائد جـ ٥ص ١٠٣ كتاب الطب، باب فيمن تعلق تميمة.

(٤) انظر تيسر العزيز الحميد ص ١٦٨، وقد فسره ابن مسعود كما عند ابن حبّان في صحيحه. انظر الدين الخالص جـ ٢ص ٢٣٨ معنى التولة.

السحر من الشرك فقال: «من سحر فقد أشرك»[1] ولذلك عده النبي ﷺ من الكبائر في قوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله، قال: الشرك بالله والسِّحْر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[2].

والسحر من الشرك لما فيه من الكفر، والتعامل مع الجن وهم لا يخدمون المتعامل معهم إلا بعد أن يصرف إليهم بعض أنواع من العبادات القولية أو الفعلية[3]. وقد ورد في الحديث: «من أتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[4] وذلك لأن الكاهن يخبر عن المغيبات عن طريق الجن الذين يسترقون السمع، ولا يتم التعامل بين الكاهن والجن إلا إذا صرف إليهم بعض أنواع العبادة، فمن جاء الكاهن وسأله عن بعض الغيبيات أو للانتفاع به بوجه من الوجوه فإنه يكون قد وقع في الشرك الأصغر حتى يتوب، ومن جاءه وصدقه فيما أخبره به واعتقد النفع على يديه فقد وقع في الشرك الأكبر[5].

---

(١) رواه النسائي من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يثبت سماعه عنه عند جمهور المحدثين. انظر الترغيب والترهيب جـ ٤ص ٣٢ باب الترهيب من السحر، رقم الحديث ٢ ولفظه: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك».

(٢) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١ص ١٩ كتاب الإيمان باب أكبر الكبائر الشرك بالله رقم الحديث ٤٧.

(٣) لقوله تعالىٰ: **﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا مشعر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إنَّ ربك حكيم عليم﴾** [الأنعام: آية ١٢٨]. فاستمتاع الجني بالإنسي من جهة أنه صرف إليه بعض أنواع العبادة والتعظيم، واستمتاع الإنسي بالجني من جهة أنه قدم له بعض الخدمات التي يطلبها إليه.

(٤) رواه البزار بإسناد جيد قوي، انظر الترغيب والترهيب جـ ٤ص ٣٤ باب الترهيب من السحر والكهان. رقم ٧.

(٥) للحديث: «من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة، فإن =

والدليل على أن التعامل مع الجن كفر قوله تعالىٰ: **﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾**[1].

المطلب الرابع

التبرّك

التبرك بالشجر والحجر والأثر ونحو ذلك، فإن طلب البركة من غير الله تعالىٰ شرك[2]، لأنه لا يملكها إلاّ الله تعالىٰ إذ معنى البركة النماء والكثرة وهي معنى يخلقه الله تعالىٰ في الأشياء حتى يكون فيها من الخير أكثر مما هو معتاد.

فمن قصد شيئاً من المخلوقات سواء كان بشراً أو حجراً أو شجراً أو أثراً طالباً منه البركة لذاته فقد أشرك شركاً أكبر، ومن اعتقد أن البركة من عند الله تعالىٰ ولكنها تأتي عن طريق هذه الأشياء فقد وقع في الشرك الأصغر، لأن الخير والعطاء والنماء والخلق لا يكون إلا من الله تعالىٰ: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يُدبِّرُ الأمر فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون، قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده، قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾**[3].

ولما خرج النبي ﷺ بعد فتح مكة إلى الطائف من معركة حنين ومعه كثير ممن أسلموا حديثاً وكان للمشركين شجرة كبيرة يعكفون عليها ويعلقون بها أسلحتهم للتبرك بها يقال لها «ذات أنواط» ومروا بها قالوا

= صدقهُ بما قال كفر» رواه الطبراني. انظر الترغيب والترهيب جـ ٤ص ٣٥ باب الترهيب من السحر والكهان. رقم ٩.

(١) البقرة: آية ١٠٢.

(٢) انظر حاشية كتاب التوحيد ص ٩٤ تيسير العزيز الحميد ص ١٨٤.

(٣) يونس: آية ٣٤.

للنبي ﷺ: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله: «الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى **﴿اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبّرٌ ما هم في وباطل ما كانوا يعملون﴾**(١) لتركبن سنن من كان قبلكم»(٢).

أما أن تتخذ للذكرى دون أن يعتقد فيها النفع أو الضر لا بذاتها ولا عن طريقها فلا حرج في ذلك إلا إذا صارت ذريعة للوقوع في المعنى الممنوع شرعاً فتحرم سداً لذريعة الوقوع في الشرك، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قطع الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان في الحديبية خشية أن يقع الناس في الشرك بسببها(٣).

فما يفعله بعض الناس اليوم من التمسّح بالقبور وتقبيلها والطواف بها والعكوف عندها فإنه مما لا يأذن به الشرع ويحرمه لكونه لا يخرج عن أن يكون شركاً أكبر أو شركاً أصغر بحسب قصد الفاعل وكلاهما منهى عنه شرعاً، وأما دعاء أصحابها والاستعانة بهم أو الاستغاثة بهم أو النذر أو الذبح لهم من دون الله تعالىٰ فإنه من الشرك الأكبر كما ذكرنا هناك(٤).

فمن كان يفعل ذلك عن جهل ثم جاءته الموعظة من ربه فانتهى فله ما سلف والله تعالىٰ يتوب على من تاب، لكن من عاند وعارض بعد بلوغ الحجة إليه فإنه يكون قد وقع في الخطر الكبير على دينه في الدنيا وعلى مصيره في الآخرة.

---

(١) الأعراف: آية ١٣٩.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح .اهـ ورواه أحمد أيضاً، انظر تحفة الأحوذي جـ ٦ص ٤٠٨ أبواب الفتن، باب لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم الحديث ٢٢٧١.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن نافع، انظر فتح القدير للشوكاني جـ ٥ص ٥٢ عند تفسير قوله تعالىٰ: **﴿لقد رضي الله عنه المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾**. [الفتح: آية ١٨].

(٤) وقد قال تعالىٰ: **﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾** [الأنعام: آية ١٦٢].

المطلب الخامس

التشاؤم والتطير

وهما بمعنى، والمراد به ما ينزل بالمرء من الحوادس[١] والتمخمينات والخواطر عند رؤية بعض الأشياء أو سماعها وكانت العرب تتطير بالطير فإذا أراد أحدهم قضاء حاجة له قصد إلى وكنات الطير فأثارها فإن اتجهت يميناً تفاءل ومضى لما يريد وإن اتجهت شمالاً تشاءم ورجع عن قصده وترك ما كان يعتزم فعله[٢].

وقد جاء الإسلام بإبطال الطيرة فقال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر»[٣] وفي رواية: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة[٤]. ولما ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ قال: أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلاّ أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[٥]، وفي الحديث: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»[٦].

---

(١) الحوادس جمع حَدْس بفتح الحاء المهملة وتسكين الدال وهو الظن والتخمين، تقول حَدَسَ يَحْدِسُ حَدْساً من باب ضَرَبَ، انظر مختار الصحاح ص ١٢٦.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٢٠ باب ما جاء في التطير.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود، انظر جمع الفوائد جـ ٢ص ٣٢٤ باب الطيرة والفأل والشؤم، رقم الحديث ٧٦٠٩.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «لا طيرة وخيرها الفأل. قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ١٥٢ كتاب الطيرة والعدوى رقم الحديث ١٤٩١.
والحديث المذكور رواه الترمذي في أبواب السير باب ما جاء في الطيرة. وصححه. انظر تحفة الأحوذي جـ ٥ص ٢٤٠ رقم ١٦٦٤.

(٥) رواه أبو داود عن عروة بن عامر القرشي، انظر جمع الفوائد جـ ٢ص ٣٢٣ أبواب الطيرة والفأل والشؤم. رقم الحديث ٧٥٩٧.

(٦) رواه الترمذي بدون التكرار وقال: حديث حسن صحيح .اهـ ورواه أبو داود وابن حبان في صحيحه، انظر تحفة الأحوذي جـ ٥ص ٢٣٨ أبواب السير باب الطيرة رقم ١٦٦٣.

فمن اعتقد أن هذه الأشياء التي تطير بها تجلب الخير بذاتها أو تدفع الشر بذاتها فذاك شرك أكبر لأنه لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله تعالىٰ **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾**[1] **﴿وإذا مسكم الضرّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾**[2] **﴿له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم﴾**[3].

ومن اعتقد أن هذه الأشياء التي تطيَّر بها تدل على الخير أو على الشرّ دلالة فقط دون أن يكون لها تأثير في تحصيله فذاك شرك أصغر وهو ممنوع شرعاً، لأنه لا علاقة لهذه الأشياء في الدلالة على الخير أو الشر، وإنما هو شيء بيد الله تعالىٰ وحده يصرِّفه كيف يشاء، فقد روى عكرمة قال كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شرّ، ولما خرج طاووس يوماً مع صاحب له في سفر فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال: وأي خير عند هذا، لا تصحبني[4].

شبهة وجوابها:

فإن قيل: كيف وقد ورد في الحديث: «الشؤم في ثلاث: في المرأة والدابة والدار»[5] وفي رواية: «إن كان ـ أي الشؤم ـ ففي الفرس والمرأة والمسكن»[6].

فالجواب: أن هذا حكاية عما كان عليه الحال في الجاهلية فإنهم

---

(١) النحل: آية ٥٣.
(٢) الإسراء: آية ٦٧.
(٣) الشورى: آية ١٢.
(٤) انظر الدين الخالص جـ ٢ص ١٤٥ حكم التطير والعدوى. تيسير العزيز الحميد ص ٤٢٨.
(٥) رواه البخاري جـ ٤ص ٣٥ كتاب الجهاد باب ما يذكر من شؤم الفرس بلفظ: «إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة والدار» ورواه مسلم بنحوه انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢ص ١٥٢ كتاب الطيرة رقم الحديث ١٤٩٢

كانوا أكثر ما يتشاءمون في هذه الثلاثة، كما قالت عائشة رضي الله عنها حين سمعت من يروي هذا الحديث: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم من حدث بها، ولكن رسول الله ﷺ كان يقول: «كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في المرأة والدار والدابة»[1] ثم قرأت عائشة رضي الله عنها تأييداً لما روت قول الله تعالىٰ: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير**﴾[2].

وقيل: إنّ الطِّيَرة في هذه الثلاثة جائزة وهي مستثناة من عموم الطيرة، وبه يقول الخطابي وابن قتيبة[3]، قلت: لكنه جواب ضعيف، لعدم الدليل عليه.

وقيل: إنّ الحديث ورد على جهة بيان الحقيقة وليس الحكم، وذلك بأن هذه الثلاثة يوجد فيها الشرّ. لا أنها يجوز التشاؤم فيها. وهو قول ابن القيم[4]، أي فإذا تحقق من وجود الشرّ فيها جاز له مفارقتها، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقلّ العدد وذهب المال، فقال ﷺ: «دعوها وهي ذميمة»[5].

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد جـ ٥ص ١٠٤ كتاب الطب. باب ما جاء في الداروالمرأة والفرس.

(٢) الحديد: آية ٢٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٤٢٩.

(٤) نفس المصدر.

(٥) رواه أبو داود عن أنس، وسكت عليه المنذري في تخريج السنن، انظر جمع الفوائد جـ ٢ص ٣٢٤ باب الطيرة والفأل والشؤم والعدوى، ورواه البزار عن ابن عمر بنحوه وزاد (فقالوا: يا رسول الله كيف ندعها، قال: بيعوها أو هبوها) ثم قال البزار: أخطأ فيه صالح بن أبي الأخضر، والصواب أنه من مرسلات عبد الله بن شداد، قال الهيثمي: وصالح ضعيف يكتب حديثه، وفيه أيضاً سعيد بن سفيان ضعفه ابن المديني وذكره ابن حبان في الثقات، ونقل تضعيف ابن المديني له .اهـ انظر مجمع الزوائد جـ ٥ص ١٠٤ أبواب الطب.

وأما إذا تفاءل بالكلمة الطيبة أو الاسم الحسن أو الهيئة الجميلة وتشاءم بأضدادها دون أن يكون لذلك تأثير على الفعل أو الترك فلا حرج فيه ولا إثم لأن النبي ﷺ «كان لا يتطير من شيء وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه فرح به ورؤى بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رؤى كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإذا أعجبه اسمها فرح ورؤى ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤى كراهية ذلك في وجهه»(١).

ولهذا قال ﷺ محذراً من أن يكون للتطير تأثير على حمل صاحبه على الفعل أو على الترك «من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»(٢).

وبالجملة فإن بين التوحيد والشرك تنافراً وتناقضاً فلا يجتمعان ولا يرتفعان إذا وجد أحدهما انعدم الآخر كالنور والظلام والحياة والموت **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾**(٣)

نسأل الله تعالىٰ الإيمان الصحيح والعمل الصالح، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه النسائي وأبو داود عن بريدة، وسكت عنه المنذري كما في تخريج السنن، انظر جمع الفوائد ج ٢ص ٣٢٢ باب الطيرة رقم الحديث ٧٥٩٤.

(٢) رواه أحمد والطبراني عن ابن عمر مرفوعاً، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ج ٥ص ١٠٥ كتاب الطب، باب ما يقول إذا تطير.

(٣) الزمر: آية ٦٦.

الخاتمة

بهذا يتبين لنا كيف أن الإسلام دين الفطرة والعقل معاً فلا يجوز إغفال أحدهما في سبيل تدعيم مكانة الآخر لأن مصدر إيجاد العقل والفطرة واحد، ولكل منهما مجاله الذي يتناسب معه وميدانه الذي يخوض فيه، فلا يصح أن يسعى أحدهما إلى إبطال دور الآخر وإلغاء عمله لأن ذلك يؤدي إلى الوقوع في إشكالات كثيرة وغموض في معرفة الحقيقة كبير مع ما يتركه ذلك على النفس البشرية من خطر الانحراف عن طريق الهداية والانجراف في مهاوي الغواية الذي يورث الإنسان شقاء في الدنيا وعذاباً في الآخرة **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** [سورة طه: آية ١٢٦].

ولا يفوتنا أن نشير في نهاية هذا البحث المختصر إلى أنه بعض أصحاب كتابنا (أصول العقيدة الإسلامية. دروس وتمارين) الذي هو قيد الإعداد للطبع والذي استفدنا فيه من كتاب فضيلة الشيخ عبد الرحمٰن حبنكة (العقيدة الإسلامية وأسسها) فيما يتعلق بتوحيد الربوبية، مع إضافات هامة وتعديلات مهمة على ما عنده:

وهو بسبق حائز تفضيلا   مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة   لي وله في الدرجات الآخرة

نسأل الله تعالىٰ التوفيق لنا ولأئمة المسلمين وعامتهم وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري

ثبت المراجع

١ ـ الإتقان في علوم القرآن، لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ. بهامشه إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، طبع دار الندوة الجديدة، بيروت.

٢ ـ إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ. وبهامشه كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار. للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ. طبع مؤسسة الحلبي، بالقاهرة سنة ١٣٧٧ هـ ـ سنة ١٩٦٧ م.

٣ ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية. للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٣ هـ. نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

٤ ـ الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، للأستاذ خير الدين الزركلي، المتوفى سنة ١٩٧٥ م. نشر دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٩ م.

٥ ـ أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، للإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي المتوفى سنة١٠٣٣ هـ تحقيق وتخريج الأستاذ شعيب الأرناؤوط طبع مؤسسة الرسالة. بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ سنة ١٩٨٥ م.

٦ ـ أم البراهين في العقائد، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي

الحسيني. المتوفى سنة ٨٩٥ هـ ضمن مجموعة من المتون في كتاب مجموع مهمات المتون في مختلف الفنون والعلوم، يشتمل على ستة وستين متناً. طبع دار الفكر. بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٩ هـ سنة ١٩٤٩ م.

٧ ـ البداية والنهاية. في التاريخ للحافظ أبي الفداء ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ م. طبع وإخراج مكتبة المعارف بيروت، مكتبة النصر بالرياض.

٨ ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ. تعليق وتصحيح الشيخ محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى محمد بمصر.

٩ ـ تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي. للعلامة أبي علي محمد عبد الرحمٰن المباركفوري المتوفى سنة١٣٥٣ هـ بمراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ سنة ١٩٦٣ م مطبعة المدني بالقاهرة.

١٠ ـ الترغيب والترهيب. للإمام الحافظ عبد العظيم عبد القوي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ بتحقيق مصطفى عمارة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ سنة ١٩٦٨ م مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

١١ ـ تفسير ابن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ طبع دار إحياء التراث العربي في سوريا سنة ١٣٨٨ هـ سنة ١٩٦٩ م.

١٢ ـ تقريب التهذيب. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ. بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. نشر المكتبة العلمية للنمنكاني بالمدينة المنورة.

١٣ ـ التلخيص الحبير. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ بتعليق وتصحيح السيد عبد الله هاشم اليماني المتوفى سنة ١٩٦٤ م بالمدينة المنورة. طباعة الشركة الفنية المتحدة بالقاهرة.

١٤ ـ التوسل والوسيلة. لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، طبع دار العربية، بيروت سنة ١٣٩٠ هـ سنة ١٩٧٠ م، على نفقة معالي الشيخ حسن شربتلي. وتقديم الأستاذ زهير الشاويش.

١٥ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠ هـ. المكتب الإسلامي بيروت.

١٦ ـ جامع العلوم والحكم. في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي المشهور بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ. طبع مؤسسة ـ الرسالة ـ بيروت بتحقيق سعيد الأرناؤوط وإبراهيم باحبيس. الطبعة الثانية سنة ١٩٩١ م سنة ١٤١٢ هـ.

١٧ ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد. للإمام محمد بن محمد بن سليمان المغربي المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ. طبع سنة ١٣٨١ هـ سنة ١٩٦١ م. بتعليق السيد عبد الله هاشم اليماني.

١٨ ـ حاشية كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. بقلم الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم النجدي العاصمي الحنبلي. المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ. الطبعة الرابعة سنة ١٤١٤ هـ. لم تذكر جهة الطبع.

١٩ ـ الدين الخالص، للعلامة محمد صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ سنة ١٨٨٩ م. مطبعة المدني بمصر.

٢٠ ـ الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ. لم تذكر لا الطبعة ولا جهة الطبع.

٢١ ـ شرح النووي لصحيح مسلم، للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ المطبعة المصرية ومكتبتها.

٢٢ ـ صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري شيخ المحدثين المتوفى سنة ٢٥٦ هـ. مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

٢٣ ـ ضحى الإسلام. للأستاذ أحمد أمين المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ سنة

١٩٥٤ م. طبع ونشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان - الطبعة العاشرة.

٢٤ - العقيدة الإسلامية وأسسها، للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني حفظه الله، طبع دار القلم بدمشق. الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣ هـ سنة ١٩٨٣ م.

٢٥ - العقيدة الطحاوية. للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي المتوفى سنة ٧٩٢ هـ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط حفظهما الله طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤١٣ هـ سنة ١٩٩٣ م.

٢٦ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لشيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ بتحقيق وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز - محمد فؤاد عبد الباقي. محي الدين الخطيب. المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.

٢٧ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ بصنعاء اليمن. نشر محفوظ العلي. بيروت.

٢٨ - فجر الإسلام. للأستاذ أحمد أمين المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ سنة١٩٥٤ م طبع ونشر دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. الطبعة العاشرة.

٢٩ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. للعلامة عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ١٤٢٩ هـ سنة١٠٣٧ م. نشر دار الآفاق الجديدة بيروت. الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ م.

٣٠ - الفصل في الملل والأهواء والنحل. للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ وبذيله الملل والنِّحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ. طبع ونشر مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر القاهرة.

٣١ - فيض القدير بشرح الجامع الصغير، للعلامة عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ سنة ١٦٢٢ م. مطبعة مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦ هـ سنة ١٩٣٨ م.
٣٢ ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبيّ المتوفى سنة ٦٨١ هـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧ هـ سنة ١٩٦٧ م. دار الكاتب العربي، عن طبعة دار الكتب المصرية.
٣٣ ـ الكامل في التاريخ. للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠ هـ. مراجعة نخبة من العلماء، نشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣ هـ سنة ١٩٨٣ م.
٣٤ ـ كشاف القناع عن متن الإقناع للعلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتى المتوفى سنة ١٠٥١ هـ طبع بأمر الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة ـ العربية السعودية رحمه الله تعالىٰ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٤ هـ.
٣٥ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢ هـ. بتعليق أحمد الفلاشي. مطبعة الفنون بحلب نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي.
٣٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر. نشر دار الكتب. بيروت لبنان.
٣٧ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ. الطبعة الأولى سنة ١٣٨١ هـ. طبع بأمر جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود. مطابع الرياض.
٣٨ ـ مجموع مهمات المتون. يشتمل على ستة وستين متناً في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر للطباعة، الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٩ هـ سنة ١٩٤٩ م. بيروت.

٣٩ ـ مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى سنة ٦٦٦ هـ ترتيب وعناية السيد محمود خاصر.

٤٠ ـ مختصر صحيح مسلم، للعلامة الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٧٦ هـ. بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني.

٤١ ـ مختصر منهاج القاصدين. للإمام أحمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩ هـ بدمشق.

٤٢ ـ المعجم المفهرس لإلفاظ القرآن الكريم. للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله. المتوفى سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م طبع دار الحديث خلف الجامع الأزهر بالقاهرة. سنة ١٣٠٧ هـ سنة ١٩٨٧ م.

٤٣ ـ المغني. للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة. المتوفى سنة ٦٢٠ هـ سنة ١٢٢٣ م تحقيق الأستاذ طه محمد الزيني، نشر مكتبة القاهرة. مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٨٨ هـ سنة ١٩٦٨ م.

٤٤ ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، للعلامة زين الدين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، (انظر إحياء علوم الدين) رقم (٢).

٤٥ ـ الملل والنحل، للعلامة الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ. (انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم) رقم (٣٠).

٤٦ ـ المنجد، منجد الطلاب، نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد أفرام البستاني الطبعة الخامسة والعشرون، دار المشرق. بيروت لبنان.

٤٧ ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار. للإمام علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات.

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثاً: فهرس الموضوعات.

أولًا: فهرس الآيات

ـ أ ـ

ثانياً: فهرس الآثار

ـ أ ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ثالثاً: فهرس الموضوعات